

أعجب قدرات العقل البشرى

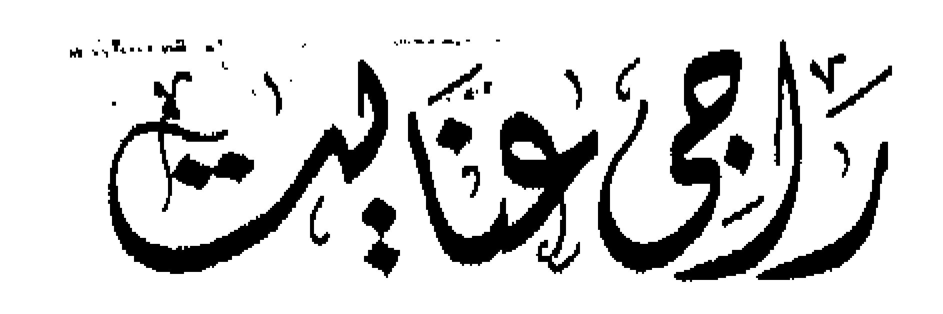
راجي عنايت

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة عجائب (٣)

أعجب قدرات العقل البشرى

التخاطر، واتصال العقول - شعار الأرشيدوق -
حيلة الفقير الهندى - سيكومترى: التخاطر مع الجماد -
الخروج من الجسد - انقطاع الرسائل عن العقل والهلوسة
فى الثالثة متزوج وله أولاد - ثلاثة وجوه لحوّاء -
التنويم المغناطيسى، والتناسخ





اسم الكتاب: أعجب قدرات العقل البشرى.
سلسلة: عجائب (٣).
المؤلف: راجى عنايت.
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر: الطبعة الثالثة - يناير 2008م.
رقم الإيداع: 2006 / 13466
الترقيم الدولى: ISBN 977-14-3479-9

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص. ب: 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس: 25903395 (02)

مركز خدمة العملاء: (02) 25909827
البريد الإلكترونى لخدمة العملاء: customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: (03) 5462090
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: (050) 2221866

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

مقدمة

أعجب قدرات العقل البشرى

رغم أن البشرية قد عبرت إلى عصر المعلومات والمعارف.. ورغم التطور العظيم الذى وصل إليه العلماء فى استقصائهم لخفايا وألغاز ذلك الكائن المعروف المجهول.. بل رغم اندفاع العلماء منذ منتصف القرن العشرين نحو دراسة القدرات غير العادية للعقل البشرى.. رغم ذلك كله، فقد بقيت أبعاد نشاط العقل البشرى أبعد من المدى الذى أدركته الحركة العلمية التجريبية.

كل يوم نكتشف قدرات جديدة وعجيبة للعقل البشرى. والحق يقال إن الحركة العلمية بدأت تخرج عن جمودها فى مواجهة كل ما هو غريب، أو مخالف لما كان يحظى بإجماع الكل.. ودخلت المعامل جهود متعددة لدراسة قدرة العقول على الاتصال والتفاهم دون الاعتماد على أى وسيلة معروفة منِ وسائل الاتصال.. وتفرغ عدد من أساتذة الطب، والطب النفسى خاصة، لدراسة التخاطر، هذه القدرة العجيبة للعقل البشرى.

وقد حرصنا على أن يتضمن هذا الكتاب جانبًا من الدراسات العلمية والمعملية التى بحثت فى الأبعاد المختلفة لهذه الظاهرة، التخاطر بين شخصين، والتخاطر بين عدة أشخاص، والتخاطر الجماعى الذى يتم بين فرد واحد ومجموعة من البشر.. وكذلك طرحنا تفاصيل قدرة العقل البشرى على الوصول إلى المعلومات من الجماد..

وطرحنا بعض الدراسات التى تتضمن قدرة العقل البشرى على الارتحال عبر الزمان والمكان، على صورة مركز إدراك متحرك خارج الجسد. ورأينا كيف أن حرمان العقل من أى من الرسائل التى اعتاد أن يتسلمها من الحواس، يقود إلى حالة (الهلوسة). وكيف وصل الإنسان إلى هذه الحالة بممارسات اليوجا والعقاقير.. وكيف وصل إليه العلماء فى المعامل.

الكتاب يتناول العديد من حالات العقل البشرى التى تقود إلى أن يكتشف الإنسان أكثر من حياة سابقة قد عاشها، ولديه أدق تفاصيلها.. ونحن نميز بين هذا وبين ظاهرة (التعرف الكاذب) التى ترجع إلى خلل فى آلية العقل، قصير للغاية، يمكن قياسه بالفيمتو ثانية.

كذلك، تعرضنا لظاهرة تعدد الشخصيات داخل كيان إنسانى واحد.. تعدد يتجاوز الثنائية الأدبية بين دكتور جيكل ومستر هايد، وعلاقة ذلك بما نطلق عليه اصطلاح (الاستحواذ).

ومازال البحث متصلاً عن آفاق هذا العقل البشرى العجيب.

راجى عنايت

عندما تتصل العقول!

ظاهرة التخاطر، أو قدرة الإنسان على الاتصال بإنسان آخر، اعتمادًا على العقل فقط، ودون استخدام أى من الحواس البشرية، أو وسائل الاتصال المصنوعة، عبر مسافات قد تكون كبيرة.. هذه القدرة استطاع البحث العلمى أن يثبت مصداقيتها، من خلال التجارب المعملية، وظهرت بعض النظريات التى تسعى إلى تفسيرها، وتشرح آلياتها.. متى تقوى؟ وما الفارق بين مستقبل الرسالة ومرسلها؟

من بين ذلك، أن أفضل الظروف لإجراء اتصال تخاطرى قوى، تتوفر عندما يكون مرسل الرسالة فى حالة تأزم نفسى وعصبى، مفتقدًا أى وسيلة طبيعية للاتصال، وعندما يكون مستقبل الرسالة التخاطرية فى حالة استرخاء ذهنى، كما هو الحال عندما يكون الإنسان بين حالتى اليقظة والنوم.. قبل النوم أو بعده.

وقد يكون من المفيد، لتوضيح الظاهرة، أن نورد بعض الوقائع التى قام بجمعها جانب من العلماء الذين يدرسون ظاهرة «الرحلات الخارقة للعقل البشرى».

شبح غريب فى كابينة القيادة:

ذات يوم فى عام ١٨٢٨، مر المساعد الأول لقبطان السفينة، روبرت بروس، بأغرب تجربة فى حياته، أثناء رحلة السفينة من ليفربول بإنجلترا إلى كندا.

عندما توجَّه إلى كابينة القائد، ليتولى قيادة السفينة، وجد شخصًا غريبًا تمامًا يجلس فى الكابينة، يكتب على اللوح الإردوازى.. استدار الرجل ونظر إليه بتركين، وفى عينيه نظرة حزن، مما جعل بروس يشعر بالخطر، ويسرع إلى ظهر السفينة ليبلغ الكابتن بما شاهده.

«هل جننت يا سيد بروس؟»، قال الكابتن، ثم استطرد «شخص غريب ونحن على بعد ستة أسابيع من بداية رحلتنا!.. ارجع إلى الكابينة، وانظر من يكون..». لم يتحرك بروس، وقال بإصرار: «لم أكن فى يوم من الأيام من المؤمنين بالأشباح يا سيدى.. لكن لكى أكون صادقًا معك، لا أفضل أن أواجهه منفردًا».

وهكذا، تحرك الكابتن والمساعد الثانى مع بروس إلى الكابينة.. ليجدوها خالية!. ولكن، عندما فحصوا اللوح الإردوازى وجدوا عليه هذه الجملة «وجِّه السفينة فى اتجاه الشمال الغربى».

لم يعجب الكابتن ما رآه، وقال مؤنبًا بروس «هل تريد أن تعبث معى؟». أقسم بروس إنه يقول الحقيقة بحذافيرها. جلس الكابتن إلى مكتبه، وراح يفكر بعمق لبعض الوقت، ثم ناول اللوح لبروس، وطلب منه أن يكتب على الناحية الأخرى للوح نفس العبارة «وجِّه السفينة فى اتجاه الشمال الغربى». وعندما اكتشف أن الكتابة على جانبى اللوح مختلفتان تمامًا، طلب من المساعد الثانى وخادم السفينة كتابة نفس الجملة. وبنفس الطريقة اختبر باقى من كانوا على السفينة.

أمر الكابتن أن يتم تفتيش السفينة تفتيشًا دقيقًا من أسفلها إلى أعلاها.

آخر الأمر، ارتمى الكابتن على مقعده، حائرًا ومتعبًا، وهو يقول: «بروس.. بحق الله ماذا تريد من هذا كله؟!». أجاب بروس: «لا أعرف يا سيدى.. لقد رأيت الرجل يكتب.. وأنتم رأيتم الكتابة.. لابد من أمر له أهميته وراء هذا كله..».

ونظرًا لأن الريح كانت مواتية، وأن تغييرًا بسيطًا فى مسار الرحلة لن يعطلها لأكثر من عدة ساعات، أمر الكابتن بتغيير المسار إلى الشمال الغربى. وبعد بضع ساعات، شاهد من سطح سفينته سفينة قريبة جدًا من جبل ثلج.. وعندما اقترب أكثر، شاهد الكابتن بمنظاره المعظم السفينة مصطدمة بجبل الثلج، وعليها العديد من البشر!

على الفور أرسل قوارب الإنقاذ لنجدة من كانوا على السفينة. وعندما عاد قارب الإنقاذ الثالث، وصعد ركابه إلى السفينة، كانت دهشة مساعد الكابتن غاية فى الشدة، عندما وجد بينهم ذلك الرجل الذى شاهده فى كابينة القيادة منذ ساعات!

فيما بعد، عندما طلب الكابتن من ذلك الرجل أن يكتب الجملة السابقة على الناحية الأخرى من اللوح، جاء خط اليد مطابقًا للكتابة السابقة، الغريب فى الأمر، هو تلك الدهشة التى بدت على ذلك الرجل وهو ينظر إلى الكتابة القديمة ويتساءل باندهاش: «لقد كتبت هذا الآن مرة واحدة.. من أين أتت هذه الكتابة الأخرى؟..».

لم يكن لديه ـ طبعًا ـ أى فكرة عن المشهد الذى أزعج بروس لكنه يذكر شيئًا ربما يكون له صلة بالأمر.. ففى ظهر ذلك اليوم، وبتأثير الإنهاك الشديد، غاب فى نوم عميق، وعندما استيقظ منه، بشَّر أقرانه فى السفينة المحطمة أن النجدة قادمة فى نفس اليوم، وأنه رأى فى حلمه نفسَه فوق السفينة التى أتت لنجدتهم.. وقال كابتن السفينة المحطمة إن الرجل وصف لهم سفينة الإنقاذ وصفًا دقيقًا، وقال: «لقد دهشنا جميعًا عندما اقتربت سفينتكم، ووجدنا تفاصيلها مطابقة فى كل شىء لما قاله لنا..».

هذه القدرات الخاصة للعقل البشرى، التى لم نستطع اكتشاف أبعادها حتى الآن، تأتى وقائعها من كل زمان ومكان..

هامبى.. النجدة!

المذيع هيوارد ويلر بإذاعة مدينة شارلوت، فى نورث كاليفورنيا، رجل ورع تقى، لا ينسى ما حدث له فى ١٠ يونيو عام ١٩٦٢.

كان راضيًا عن يومه.. يتأهب للدخول إلى فراشه قرب انتصاف الليل، فركع مستندًا إلى سريره يتلو صلاته.. لكنه توقف فجأة، وقال لزوجته: «بات.. لقد سمعت صوت اصطدام سيارة.. سأذهب لأرى حقيقة الأمر، وأعود توًا..».

عندما خرج ويلر من بيته، ودخل سيارته، كان عليه أن يتخذ قرارًا: فى أى الاتجاهات يسير؟ كان منزله عند تفرع عدة شوارع، غير أنه لم يتردد طويلا، وانطلق فى شارع بارك. وعندما وصل

إلى وودلون، انحرف يمينًا هابطًا التل، إلى حيث تتجمع قوارب الصيد.. لكنه لم يجد شيئًا لافتًا هناك.. فجأة وجد نفسه يستدير بسيارته مندفعًا إلى مونتفورد دريف.

فى جريدة شارلوت نيوز، جاء وصف ما حدث نقلا عن هيوارد ويلر.. مضى مسافة ٢٠٠ ياردة ناحية مونتفورد، ووراء انحناء الطريق، وجد سيارة مصطدمة بعمود نور. كان المحرك من فرط الصدمة قد ارتد إلى فراغ السيارة.. لم ير أحدًا بالسيارة، ولكنه سمع صوتًا خافتًا يتردد «النجدة هامبى.. النجدة».

خلال البحث الدقيق فى أنحاء الحطام، عثر ويلر على صديقه القديم جو فندربيرك محشورًا وسط حطام السيارة، مصابًا بجروح خطيرة، تنزف بلا توقف.. لقد اعتاد جو أن ينادى صديقه باسم التدليل «هامبى».. نجح ويلر فى إخراج صديقه من الحطام، وحمله إلى المستشفى، حيث أجريت له جراحة عاجلة.

كيف سمع ويلر صوت تحطم السيارة على بعد نصف ميل من بيته؟.. كيف عثر على السيارة المحطمة؟

اكسر باب الحمام..

كان إبراهام أيزر ضيفًا على مائدة عشاء السيد كليفورد ماك وزوجته، بمنزلهما ٥٦ وست، شارع ٥٤ بنيويورك. وكان السيد ماك يعمل حينذاك فى حقل نشر المجلات. بعد العشاء، جلس السيد ماك مع السيد أيزر فى حجرة المعيشة، يتجاذبان الحديث فى أمور العمل.. وقد استأذنت منهما الزوجة بالانصراف لتأخذ حمامًا.

انهمك الرجلان فى حديث متصل لثلث ساعة، غير أن أيزر قفز فجأة واقفا وهو يصيح «فلنكسر باب الحمام.. هيا.. فلنكسره حالاً». فزع ماك، واندهش لحال صديقه، وحاول تهدئته. غير أن أيزر صاح: «إذا لم تفعل ذلك.. فسأستدعى الشرطة!».

نتيجة لذلك الإلحاح من الصديق، قاده ماك إلى الحمام، ثم نادى على زوجته، فلم يحظ بإجابة.. فانتقل القلق إلى ماك، وراح يضرب الشق الأسفل من الباب، حتى استطاع أن يفتحه، ليجد زوجته مغمى عليها فى البانيو، ووجهها مغمور بالماء.. فحملها إلى حجرة النوم، وقام بالإسعافات الأولية، حتى عادت إليها أنفاسها.. كل هذا بسبب إحساس غريب لدى ضيف العائلة.

شعار الأرشيدوق:

الإحساس الغامض الذى يلح على الإنسان، هو فى حقيقته رسالة تخاطرية، لم تتضح تفاصيلها لدى الذى يستقبلها.. الأمر الذى جرى للأسقف جوزيف دى لانيى، أسقف مدينة جروسواردن. فى ليلة ٢٧ يونيو عام ١٩١٤، أفاق وسط نومه شاعرًا بقلق لا يقاوم.

حسم الأسقف أمره، وانتقل إلى حجرة المكتبة، وهيأ نفسه لتمضية باقى الليل فى القراءة والاطلاع. أضاء مصباح القراءة، فلاحظ وجود ورقة صغيرة ذات إطار أسود، إلى جوار قاعدة مصباح الإضاءة.. كان واثقًا أنه لم ير تلك الورقة من قبل.. وعندما تأمل الورقة وجد بها رسما يمثل شعار الأرشيدوق،

والذى كان تلميذًا للأسقف لعدة سنوات. بسط الورقة، فوجد بها رسالة.. وعندما قرأ الرسالة ثار غضبه على الخادم الذى تسلم الرسالة وتركها فى ذلك المكان دون أن يخبره.. فدق الجرس عدّة مرات يستدعى الخادم، وعندما وصل مهرولا، بدأ الأسقف يعنِّفه على إهماله، وعدم الإبلاغ عن الرسالة.. وأثناء ذلك أشار إلى الورقة إلى جوار المصباح، فلم يجدها فى مكانها!.. بحث عنها فى كل مكان بمساعدة الخادم، ولكن دوى جدوى.

صرف الأسقف خادمه، وجلس يفكر فيما حدث، قال لنفسه: ربما أكون قد وقعت تحت تأثير نوع من الهلوسة.. وعلى سبيل تسجيل ما حدث، قرر الأسقف أن يدون محتويات الرسالة التى كانت على القصاصة، قبل أن تضيع من ذاكرته. فكتب فى مفكرته:

«نيافة الأسقف. أنا وزوجتى وقعنا ضحية جريمة سياسية. إننا نطمع فى صلواتك. سراييفو. الساعة الرابعة من فجر يوم ٢٨ يونيو عام ١٩١٤».

بعد عشر ساعات من تدوين الأسقف لتلك الرسالة، أطلق الرصاص على الأرشيدوق فرديناند وزوجته فى أحد شوارع مدينة سراييفو بيوغوسلافيا، وتوفيا على التو.. وكانا بذلك أول ضحايا الحرب العالمية الأولى!

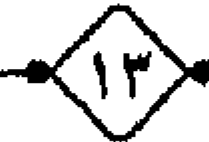
كيف يتم التخاطر؟

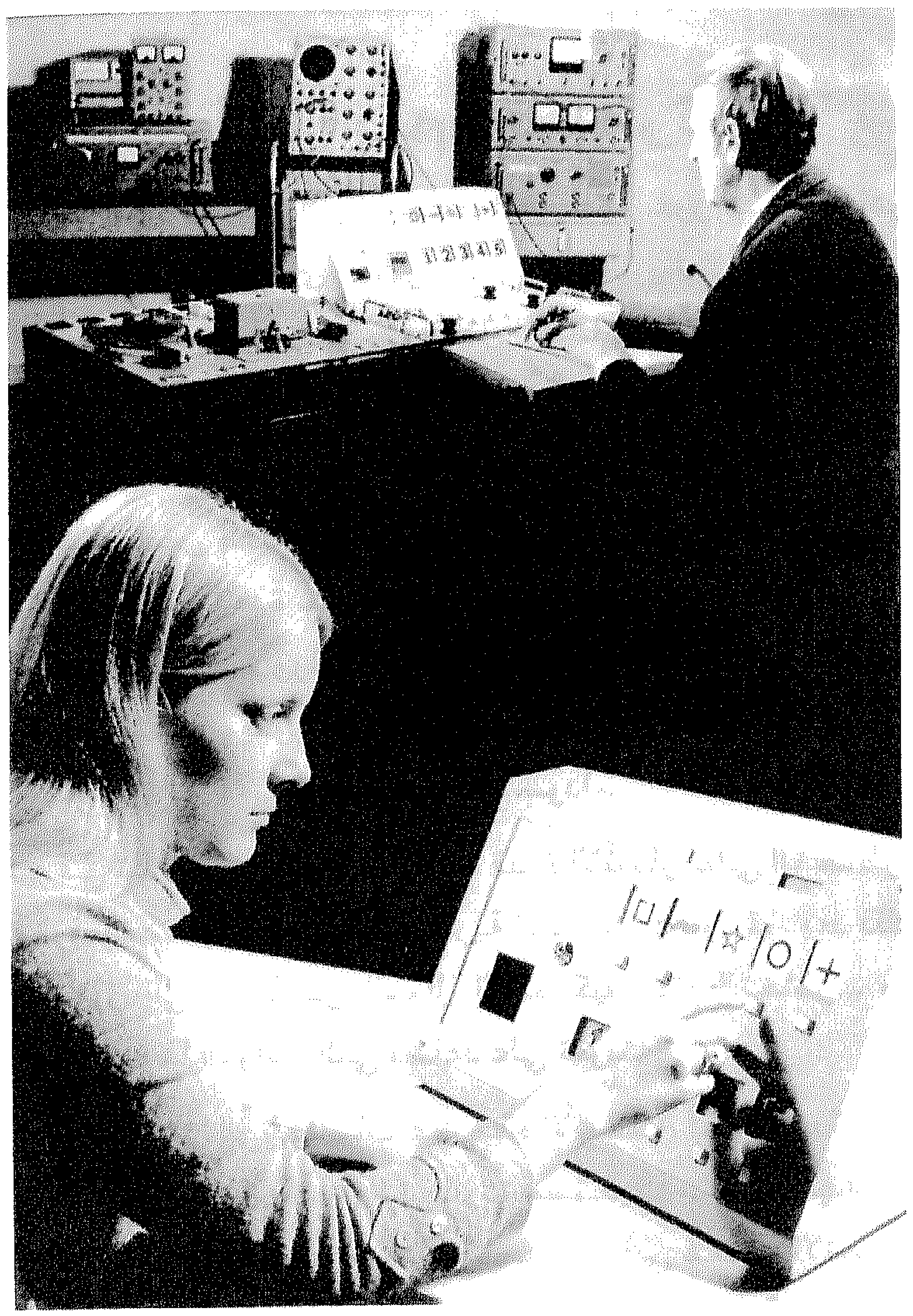
من بين العلماء الذين ساهموا فى سبر غور هذه الظواهر الفريدة للعقل البشرى، دكتور أندريا بوهاريش، المختص فى الأمراض العصبية، وصاحب معمل الأبحاث الخاص فى جامعة (مين) الأمريكية، المخصص لدراسة ظواهر الإدراك الحسى الخارقة، والتى من بينها ظاهرة التخاطر.

فى بعض هذه التجارب، يجلس شخصان كل فى حجرة، وتفصل بينهما عدة حجرات. ثم تسير التجربة على النحو التالى: يسحب «المرسل» ورقة من مجموعة ورق اللعب، وينظر إليها بتركيز شديد، ويكون على «المستقبل» فى الحجرة البعيدة أن يحدد لون الورقة، هل هى حمراء أم سوداء.

فى تلك التجربة، يتم تحديد قدرة الإنسان على التخاطر، بطرق إحصائية، ومن خلال نظرية الاحتمالات.. ويبقى بعد ذلك الوصول إلى إجابة عن السؤال الأهم: كيف يتم التخاطر؟.. ما آلياته؟.. وما العوامل التى تساعد على تقويته؟

للوصول إلى إجابات عن هذه الأسئلة، أجرى الدكتور بوهاريش سلسلة من التجارب، مستعينًا بالسيدة جاريت كمستقبلة، والسيد وودلوك كمرسل، فى عملية الاتصال التخاطرى. باحثًا عما يزيد من هذه القدرة، وطبيعة التغيرات التى تطرأ على الفرد خلال جهد التخاطر.





التخاطر، أو اتصال العقول لتبادل الرسائل، دون الاعتماد على وسائل الاتصال المعروفة، دخل إلى المعامل فى أقسام الدراسات النفسية بالجامعات؛ لفهم آليات الظاهرة، وما يضاعف قوتها.

عش الغراب ماسكاريا:

اكتشف دكتور بوهاريش أن حالة الاستقبال القوية ترتبط بتنشيط (الجهاز العصبى الباراسمبتاوى)، وهو جانب من الجهاز العصبي يسيطر على بعض الاستجابات اللاإرادية للإنسان، ويكون مسئولاً عن إحداث التوازن مع نشاط (الجهاز العصبى السمبتاوى).

تنشيط الجهاز الباراسمبتاوى عند جاريت أثناء الاتصال التخاطرى، كان يظهر على شكل انخفاض فى الضغط، وهبوط فى النبض، واحمرار فى الجلد، مع ضيق فى إنسان العين. أطلق بوهاريش على هذه الحالة اسم «كولينرجيا»، نسبة إلى المادة التى يفرزها الجسم فى هذه الحالة وهى تسمى «الإسيتيلكولين».

ويلاحظ دكتور بوهاريش أن جاريت عندما تكون فى حالة الكولينرجيا هذه، تقوى قدرتها على الاستقبال، وتستطيع استقبال الرسائل الأبعد. وقد جاءت هذه النتيجة مطابقة لما وصل إليه من قبل، خلال تجاربه مع هارى ستون الذى كان يتمتّع بقدرات تخاطرية متميزة. فى تلك التجارب قدم له بوهاريش قدرًا من عش الغراب الذى يعرف باسم (أمانيتا ماسكاريا)، الذى ينشط حالة كولينرجيا عند الإنسان.. فتضاعفت قدرات هارى التخاطرية بشكل ملموس.

عندما كان هارى فى تلك الحالة أعطاه دكتور بوهاريش عشرة أزواج من أوراق كأوراق اللعب، كل زوج يحمل نفس الرسم.. قدمها إليه جميعًا مقلوبة، وكان عليه أن يضع كل ورقة فوق

الورقة ذات الرسم المماثل دون أن يقلب أيًّا منهما.. ورغم أن حالة هارى كانت أقرب إلى السكر الشديد، نتيجة لتعاطيه عش الغراب، فقد نجح فى إنجاز المهمة فى وقت يقل عن ثلاث ثوانٍ!. ومن البديهى أن هذا لم يتم بطريق المصادفة العشوائية، فمن الناحية الإحصائية الرياضية لا يتحقق هذا مع الشخص العادى فى حالته الطبيعية، فى أقل من مليون محاولة!

وبشكل عام، يمكن للأفراد المتمتعين بالقدرة على التخاطر أن يصبحوا فى حالة (كولينرجيا) هذه دون أن يحتاجوا إلى تعاطى شىء.

هذا عن مستقبل الرسالة التخاطرية، فماذا عن مرسلها؟

سوليفان المدفون:

من بين الحالات التى درسها، يطرح د. بوهاريش الواقعة التالية:

فى عصر أحد الأيام، كان جان سوليفان يعمل وحيدًا داخل خندق على عمق ١٤ قدمًا، يقوم بلحام مواسير مياه جديدة قطر الواحدة منها ثلاثة أقدام. وكان العمل يجرى فى تركيبها على امتداد شارع واشنطن المزدحم بحركة المرور، فى القطاع الجنوبى الغربى من مدينة بوسطن.

فى الرابعة والنصف عصرًا، كانت الأوناش الضخمة قد أدخلت آخر ماسورة فى مكانها من الحفر، وانصرف عمال الونش تاركين لسوليفان أن ينتهى من لحامها وينصرف.

أنزل سوليفان غطاء اللحام على وجهه، وعمد إلى تشغيل جهاز اللحام، وبدأ فى لحام الماسورة الجديدة فى سابقتها، عندما حدثت الكارثة.. بدون سابق إنذار، وبلا صوت أو ضجيج، تهاوت أطنان من التراب والطين والأحجار فوقه؛ لتردم الخندق تمامًا.

دفن سوليفان وهو ينحنى على الماسورة فى وضع شبه راكع، ساقاه مثنيتان تحته، وقد ارتطم رأسه بالماسورة، وتحطم أنفه داخل غطاء اللحام الواقى.. فى البداية شعر بألم حاد فى كتفه اليمنى، نتيجة لالتصاق الكتف بالجزء الشديد السخونة من الماسورة، حيث كان يتم اللحام. وكانت أطنان التراب والأحجار تمنعه من إبعاد كتفه.. استطاع أن يخلص يده اليسرى، فحاول أن يدفع بها جسده بعيدًا قليلاً عن الماسورة، حتى تتسرب الأتربة بينه وبين الموضع الملتهب من الماسورة، ففشلت المحاولة، ولم يخرج منها سوى باحتراق يده!

رغم وضعه هذا، حاول أن يستغيث طالبًا النجدة على أمل أن يسمعه أحد المارة، لكنه بعد عدة صيحات أحس بضيق فى تنفسه، ففكر فى أن يتصرف بهدوء، حتى لا يستهلك كل الهواء الموجود داخل غطاء اللحام الواقى على وجهه.

فجأة.. لاحت لعقله صورة تومى ويتتاكر.. كان من أعز أصدقائه، يعمل أيضًا فى لحام المواسير، فى مشروع شارع واشنطن.. لماذا حدث هذا؟.. لا يدرى.

لم يكن تومى ويتتاكر يعلم أن سوليفان يعمل فى مشروع شارع واشنطن. فقد كان المفروض أن يكون من بين العاملين فى مشروع آخر فى ذلك اليوم.

وهنا يتوقف د. بوهاريش عن سرد الواقعة ليشرح لنا شيئًا عن آلية الإحساس بالخطر.

الإحساس بالخطر:

يقول إن حالات الإحساس بالخطر، وحالات الهروب من الخطر، وحالات العراك والقتال، يصاحبها تنشيط مكثف للجهاز العصبى السمبتاوى، المعاكس فى عمله للباراسمبتاوى. فى هذه الحالة، وعلى العكس تمامًا من حالة الكولينرجيا، تتسارع ضربات القلب، ويتهيّأ الجسم لمجهود كبير، فتنقبض الأوعية الدموية، ويتسع إنسان العين، كما يتوقف الإفراز العادى للغدد، استعدادًا للمواجهة القادمة.

ولما كانت مادة (الأدرينالين) هى التى تنشط الجهاز العصبى السمبتاوى، أطلق د. بوهاريش على هذه الحالة اسم «أدرينرجيا»، والتى تزيد فيها قوة الإرسال التخاطرى.

وهذه كانت حالة سوليفان مدفونًا تحت الانهيار الترابى.. لهذا نشط جهازه العصبى السمبتاوى؛ ليصبح فى حالة أدرينرجيا، ويكون أقدر على بث الرسالة التخاطرية.

نعود إلى الواقعة التى واجهها سوليفان. كان تومى ويتتاكر يعمل فى ذلك الوقت مع زميله دانى، فى وقت عمل إضافى ناحية

ويستوود. كانا يحاولان إنهاء ما بقى من عمل قبل أن يحل الظلام. وحاول تومى أن يشرح حالته أثناء عمله فى لحام المواسير، فقال: إن العمل يتحول بعد ممارسة إلى جهد آلى، يمكن خلاله للعقل أن يسرح مع مختلف الخواطر والأفكار. وبينما هو فى ذلك، قفزت إلى عقله فكرة التوجه إلى شارع واشنطن.. لماذا؟.. وماذا يفعل فى واشنطن؟.. لا يدرى.

يتوقف هنا د. بوهاريش ليقول: إن حالة تومى كانت حالة استقبال تخاطرى مثالية.. يعمل جسمانيًا، فى يوم حار.. فكان هذا التنشيط للعضلات كافيًا لاقترابه من حالة «الكولينرجيا».. كما أن العمل الآلى المتكرر يسمح للعقل بأن يصبح فى حالة استقبال تخاطرى.

نهض تومى وبدأ يجمع أدواته، فسأله زميله دانى مندهشًا: «إلى أين؟» قال تومى: «سأذهب الآن إلى شارع واشنطن». فقال دانى: «ولكنك لن تجد أحدًا هناك الآن».. أجاب: «يجوز.. لكنى أشعر بضرورة ذهابى إلى هناك». ألح دانى قائلاً: «فلتبق معى نصف ساعة أخرى لننتهى مما نحن فيه، ثم تذهب إلى حيث تشاء». قال تومى، وهو ينهض فى حسم: «أشعر أن خللاً وقع هناك.. لابد أن أذهب الآن!..».

عندما اقترب تومى من الموقع، وجد سيارة العمل وفوقها المولد دائرًا. هبط من سيارته وتقدم ناحية الخندق، فرأى انهيار الأتربة والحجارة داخل الخندق.. وأخيرًا، لمح اليد الممتدة بين الأتربة المنهارة.

قال سوليفان فيما بعد، يحكى هذا الجانب من القصة: «عندما قفز تومى إلى داخل الخندق، أحسست بالأرض تهتز، وعرفت أن النجدة قد وصلت.. فحمدت الله..».

كان سوليفان قد بقى مدفونًا تحت التراب ما يزيد عن الساعة!

ويعلق د. بوهاريش قائلاً: إن هذه الواقعة تبين بوضوح اشتراطات حدوث الاتصال التخاطرى.. سوليفان المرسل فى حالة توتر شديد، بينما تومى المستقبل فى حالة استرخاء.

تجارب دكتور بوهاريش

عند دراسة د. بوهاريش لحالات الاتصال التخاطرى فى معمله، تبين له أن المرسل يبذل مجهودًا خاصًا مركزًا عند بث رسالته التخاطرية، بينما يعمد المستقبل إلى الاسترخاء، لاصطياد ما يطرأ على عقله أولاً بأول. فكر د. بوهاريش فى إحداث حالة توتر مصطنعة عند المرسل، بافتراض أن هذا سيقوّى قدرته على الاتصال. وأتيحت له الفرصة عندما كان يجرى تجاربه على القدرات العقلية الخاصة مع شخص يظهر قدرة متميزة على الاتصال التخاطرى، يدعى بيتر هوركوس.

لقد اكتشف بوهاريش ما يعانيه هوركوس من خوف مرضى بالنسبة للكهرباء، فرتب تجربة يجلس فيها هوركوس على مقعد فوق قاعدة مكهربة. وقبل أن تبدأ التجربة طمأن هوركوس إلى أنه لن يشعر بأى إحساس نتيجة للكهرباء السارية فى قاعدة المقعد.. رغم قبول هوركوس، إلا أن وجهه عكس مخاوفه.

فى التجارب السابقة، كان هوركوس ينجح فى ١٢ حالة من بين كل ٥٠ اختبارًا على القدرة التخاطرية، وهو معدل مرتفع فى قياس القدرة على التخاطر. أما فى تجربة الكهرباء هذه، فقد قفزت القدرة إلى ٣٠ حالة من بين ٥٠ اختبارًا.. أى إن قدرته

التخاطرية ارتفعت بنسبة ٣٦٪ عن معدلها السابق. وقد تأكدت هذه النتيجة، مع تكرارها سبع مرات.. وفى نفس الوقت، لم تنجح القاعدة المكهربة فى تغيير نتائج الآخرين الذين كان د. بوهاريش يجرى عليهم تجارب التخاطر.

التخاطر الثلاثى:

أثناء إحدى التجارب المعملية التى كان د. بوهاريش يجريها مع السيدة جاريت، توقفت السيدة عن المضى فى التجربة؛ لتسأله فجأة «هل لك صديق اسمه دكتور ويلسون؟..» دهش بوهاريش لقولها، وقبل أن يستفسر منها عن سر السؤال، رن جرس التليفون، ورفع السماعة ليجد صديقه ويلسون على الطرف الآخر من الخط!

لم يكن قد سمع عن ويلسون أو اتصل به منذ ستة أشهر.. قال ويلسون: إنه يتكلم من جامعة «مين» التى قدم إليها فى زيارة، وأحس برغبة فى سماع صوت بوهاريش، فعجل بالاتصال.

المرسل فى هذه الحالة هو د. ويلسون، وكان المفروض أن يستقبل د. بوهاريش هذه الرسالة التخاطرية لو كان فى حالة تسمح له بالاستقبال.. لكن الذى حدث هو أن السيدة جاريت استقبلت الرسالة نتيجة لكونها فى حالة استرخاء مثالية والتى كانت قد وصلت إليها أثناء التجربة التى كانت تجرى.

احتلت هذه الظاهرة جانبًا كبيرًا من تفكير د. بوهاريش.. ظاهرة توسع عملية الاتصال التخاطرى لتضم إلى جانب المرسل والمستقبل، طرفًا ثالثًا يعمل كوسيط. وقاد هذا إلى التعرف على أنماط من التخاطر الجماعى، سنأتى على ذكرها.

إنها تقطر دمًا:

وتشاء الظروف أن تتاح لبوهاريش فرصة المزيد من دراسة هذه الظاهرة، خلال عمله مع هوركوس، صاحب القدرات العقلية الخاصة.. ودعونا نسمع رواية د. بوهاريش:

كنت أجلس مع هوركوسٍ فى المطبخ، نحتسى القهوة.. كنا نجلس باسترخاء وكسل، نتطلع إلى المشهد الطبيعى الجميل الذى يظهر من نافذة المطبخ.. وفجأة، التفت هوركوس ناحيتى وقد ظهرت على وجهه علامات التأثر الشديد وهو يقول: «أراها!.. إنى أراها.. تمامًا كما فى أفلام السينما.. أرى أمام عينى يدًا.. أراها معلقة فى الفضاء وقد قطعت من عند الرسغ، والدم يسيل منها!!».

كنت قد اعتدت مثل هذه المواقف المنفجرة من هوركوس خلال عمله الطويل معى.. وتعودت على رؤاه وخيالاته.. والرسائل التخاطرية التى يستقبلها.. راجعته فأصر على كلامه مضيفًا: «لا أراها هنا فى المطبخ.. أراها بعين عقلى».. فكرت أن مثل هذه الرؤيا قد تحمل رسالة رمزية، وعندما ناقشت هوركوس فى ذلك، قال إن اليد المقطوعة ترتبط عنده بالانتحار. سألته: «انتحار من؟». صمت مطرقًا لفترة ثم قال «إنه حادث انتحار يرتبط بصديقنا جيم ميدلتون..».

هنا، يجب أن نعرف العلاقة التى تواصلت طوال الأسابيع السابقة بين هوركوس وميدلتون. كان هوركوس قد أعطى ميدلتون شريطًا سينمائيًا عليه تجربة برنامج تلفزيونى، طامعًا فى أن يساعده ميدلتون فى تسويقه لمحطات التلفزيون فى نيويورك حيث يقيم. قام ميدلتون بتنظيم عدة عروض للتجربة التلفزيونية، سافر هوركوس ليحضرها فى نيويورك، لكنه اضطر إلى العودة إلى «مين» تاركًا الشريط لميدلتون حتى يستكمل عرضه على باقى مندوبى المحطات.

منذ عودة هوركوس إلى «مين» والقلق يراوده حول شريطه الذى لم يعد بحوزته، فراح يلاحق ميدلتون بالمكالمات التليفونية يومًا بعد يوم.. مما أزعج ميدلتون، وتسبب فى حالة من التوتر بينه وبين هوركوس، إلى حد أنه فكر فى أن ينسحب من العملية نهائيًا.

كيف تحققت الرؤيا؟

عندما سمعت ماريا، زوجة هوركوس، بحكاية اليد المقطوعة المرتبطة بميدلتون، قالت لزوجها: «لا أرى فى هذا أى دلالة.. أنت طوال الوقت تفكر قلقًا فى ميدلتون بعد أن أعطيته الفيلم»، غير أن هوركوس أصر على أن تلك الرؤيا لها علاقة بحادث انتحار يحدث فى نطاق أسرة ميدلتون.. وبعد تفكير عميق قال: «ربما يكون آرت شقيق جيم ميدلتون..».

يعلق بوهاريش قائلاً: إنه كان متأكدًا من أن هوركوس لم يلتق أبدًا بآرت، الذى يعيش فى البوكيرك، بنيومكسيكو.. وأن معلومات هوركوس عن آرت كانت كلها مستقاة مما حكاه أخوه عنه.

عندها صمم هوركوس على الاتصال بجيم ميدلتون للاطمئنان، احتجَت زوجته قائلة: «تطلب جيم الذى يبعد عنا ٤٤٠ ميلاً، فقط لتسبب له الانزعاج؟!». لكن هوركوس صمم على عزمه، ونجح فى الاتصال بجيم تليفونيًا، قائلاً: «هالو جيم.. آسف للإزعاج.. أنا لا أتكلّم بخصوص الفيلم.. المسألة أننى أحسست بمشاعر غير لطيفة.. قد تتضمن محاولة انتحار يقوم بها أخوك آرت..».

وكانت دهشة الجميع شديدة عندما قال جيم «هذا غريب جدًّا.. فمنذ ثلث ساعة فقط اتصل بى الطبيب النفسى الذى يعالجه، وأخبرنى أن آرت يعانى من حالة اكتئاب شديد، وينصح بأن أسافر إليه لأخفف عنه، وقد اعتذرت للطبيب لانشغالى حاليًا، ووعدت بزيارة قريبة.. أما الآن، وبعد ما سمعته منك، فسأسافر إليه فورًا..». خلال هذه المكالمة، لم يذكر هوركوس شيئًا لجيم عن اليد المقطوعة التى تنزف.

يقول بوهاريش مستطردًا: «مرت عدة أسابيع، تلقيت بعدها مكالمة من مدلتون يقول فيها إنه سافر إلى أخيه، وإنه حث الطبيب على إيداع آرت أحد المستشفيات، إلى أن تتحسن حالته.. وقال: إنه يتكلم من واشنطن، ويستعد للسفر إلى المكسيك على سبيل الاستجمام بعد التوتر الذى أصابه من جراء هذه الواقعة، ثم سألنى عن تفاصيل الرؤيا التى رآها هوركوس، واندهش كثيرًا لحكاية اليد المقطوعة والدم..».

بعد أسبوع، سمع د. بوهاريش ختام القصة من جيم ميدلتون. قال: إنه بعد أن سمع تفاصيل الرؤيا، عاد إلى المستشفى الذى

يقيم فيه آرت، وحذر الأطباء من محاولة انتحاره، طالبًا منهم اتخاذ الاحتياطيات كافة، فاستجاب المستشفى، ووضع آرت فى حجرة خاصة، ليس بها ما يساعده على الانتحار.

فى اليوم التالى، طلب آرت الجريدة، ثم طلب النظارة التى يقرأ بها، فسلموها له.. وبمجرد انصرافهم، حطم آرت زجاج النظارة، واستخدم قطعة من الزجاج المكسور فى قطع شرايين رسغه!!. لحسن الحظ اكتشف المستشفى المحاولة فى وقت مبكر، وأمكن إنقاذه.

حدث هذا يوم ٢٣ ديسمبر.. بينما جرت رؤيا هوركوس فى المطبخ فى أول ديسمبر!!

يقول د. بوهاريش: «ما لفت نظرى فى هذه الواقعة، هو وظيفة جيم ميدلتون الموجود فى (نيويورك) كوسيط، بين هوركوس الموجود فى (مين)، وآرت الذى فى (البوكيرك). لقد رأى هوركوس هذه الرؤيا فى الوقت الذى تم فيه الاتصال التليفونى بين الطبيب الذى فى (البوكيرك)، وبين جيم ميدلتون الذى فى (نيويورك)، أو بعد ذلك الوقت بقليل. والعلاقة الساخنة بين هوركوس وجيم نتيجة لموضوع الفيلم التلفزيونى، أتاحت نقل الرسالة التخاطرية إلى هوركوس.. وهذا يعنى أنه بالإمكان حدوث اتصال تخاطرى بين أكثر من شخصين فى نفس الوقت، ويكون أحد أطراف هذا الاتصال لا يدرى بما يشارك فيه.. أنه يعمل كوسيط..».

التخاطر الجماعى

أشرنا من قبل إلى أن التخاطر لا يقتصر على النمط الكلاسيكى الذى يقتصر على طرفين؛ المرسل والمستقبل.. وقد رأينا من خلال تجربة الدكتور بوهاريش، كيف تدخل طرف ثالث بالصدفة، فى حالة تخاطر قاصرة على شخصين.

ومن بين أشهر حالات التخاطر الجماعى، ذلك العرض السياحى الذى يقوم به الفقير الهندى، أمام أفواج السيَّاح الذين يزورون المواقع الشعبية فى الهند.. وهو يتضمن مرسلاً واحدًا، يبُث رسالته إلى مجموعة من المستقبِلين.

حيلة الفقير الهندى:

فى كتابه المسمى «أبعد من المعرفة البشرية» يورد العالم الألمانى دكتور رودلف فون إربان، تجربته التى قام بها مع دكتور ألكسندر بلين، ومجموعة من الأكاديميين؛ لدراسة ظاهرة الفقير الهندى والحبل. فمن المشاهد الشائعة التى يُقبل عليها السائحون فى بعض مناطق الهند، ذلك العرض السحرى الشعبى الذى يقوم به الفقير الهندى..

يقذف الهندى الحبل إلى أعلى، فينتصب فى الفضاء كجسم صلب، ثم يقوم صبى صغير يرافقه بتسلق الحبل، إلى أن يختفى عن أنظار المشاهدين.. يسقط الحبل على الأرض، وبعد ذلك تبدأ

أعضاء الصبى فى السقوط واحدًا بعد الآخر!!.. فيجمعها الفقير الهندى فى سلة معه، ويتلو على السلَّة بعض التعاويذ، فيخرج الصبى من السلَّة سليمًا معافى.

بعد انتهاء العرض، أجمع الشهود من العلماء الذين حضروا التجربة على صدقها.. لكن كانت هناك مفاجأة لهم جميعًا. كان إربان قد وضع آلة تصوير سينمائى فى أحد أركان المكان تلتقط فيلمًا كاملاً للعرض.. عندما جرى تحميض الفيلم وعرضه، شاهد الجميع ما تضمَّنه التسجيل.. الفقير الهندى يسير إلى وسط دائرة المتفرجين، ويلقى بالحبل إلى أعلى، فيسقط بشكل طبيعى على الأرض.. ويستمر عرض الفيلم، فنرى الفقير الهندى يقف مع الصبى إلى جوار الحبل بلا حركة.. إلى أن يبدأ الجمهور فى التصفيق، فينحنيان لتحية الجمهور، وهما يبتسمان!

الحبل لم ينتصب فى الفضاء.. والصبى لم يصعد عليه.. وأوصاله لم تتساقط متناثرة، كما أنه لم يدخل إلى السلَّة أصلاً.. ومع هذا فقد خضع عشرات المشاهدين لنفس تفاصيل هذه الهلوسة الجماعية!

ماذا يعنى هذا؟

يعنى أن الفقير الهندى يتمتَّع بالطاقة الكافية من الإرسال التخاطرى، التى تسمح له بأن يبث رسالته إلى جميع العقول التى شاهدت العرض.. لقد تم كلٌّ شىء فى صمت كامل.. الطريف فى الأمر، أن الفقير الهندى يمتنع عن تقديم العرض

فى بعض الأحيان، محتجًا بحجج يصطنعها.. السرُّ فى هذا، إحساسه بأن أحد الذين يتجمَّعون حوله يتمتَّع بالقدرة على قطع طريق رسالة الهندى إلى عقله.. وهذا يعنى أنه سيرى ما رأته عدسة آلة التصوير!

ستون وقدراته على الاستقبال:

فى واقعة الفقير الهندى، كان المرسِل فردًا، هو الفقير الهندى، بينما كانت مجموعة المشاهدين هى التى تلعب دور المستقبِل.. وقد أثبتت التجارب وجود نوع معكوس من أنواع الاتصال التخاطرى للعقول، وهو النوع الذى يكون المستقبل فردًا واحدًا، بينما يتم الإرسال عن طريق مجموعة من الأفراد.

خير نموذج لهذه الحال، هو هارى ستون، أحد الذين أجرى عليهم د. بوهاريش تجاربه العلمية المعملية حول ظاهرة التخاطر.. كان ستون يستطيع أن يكشفَ مكان إخفاء أى شىء، يطلب منه العثور عليه.

كانت تجربة بوهاريش مع ستون تتم على الوجه التالى.. يطلب الحاضرون من ستون أن يغادر الحجرة، وعادة ما يرافقه أحد الحاضرين للتأكد من ابتعاده عن الحجرة. ثم يقوم أحد الموجودين بإخفاء شىء ما.. عملة معدنية على سبيل المثال.. فى مكان يراعى فيه ألاَّ يكون متوقعًا. قبل أن يعود ستون إلى الحجرة، يقوم المرافق له بتغطية عينيه؛ بحيث تستحيل عليه الرؤية.

عندما يصل ستون إلى باب الحجرة، يتوقف للحظات، وقد ظهرت عليه علامات التركيز الشديد، ثم يبدأ فى التحرُك، وتجىء حركته دائمًا فى اتجاه المكان الذى تختفى فيه العملة. كان ستون يعثر على العملة المختفية بعد دقيقتين أو ثلاث على الأكثر، أيًا كانت مهارة الشخص الذى قام بإخفاء العملة.

يشرح د. بوهاريش آليات هذه الحالة، فيقول إن ستون يتلقًى رسالة تخاطرية جماعية من جميع الموجودين فى الحجرة، الذين يعرفون مكان إخفاء العملة.

قام د. بوهاريش بهذه التجربة مئات المرات فى محاولة الوصول إلى فهم طبيعة الاتصال التخاطرى الذى يتم فيها. فى إحدى التجارب، أعطى بوهاريش العملة لأحد ضيوفه طالبًا منه إخفاءها فى مكانٍ صعب. راح الضيف ينتقل من ركنٍ فى الحجرة إلى آخر، مترددًا فى اختيار المكان، ثم استقرَّ به الأمر فى النهاية عند مكانٍ تصور أنه الأصعب. الغريب أنه عندما دخل ستون إلى الحجرة، أعاد نفس حركات الضيف المترددة بين أركان الحجرة، ثم توجه إلى المكان الذى تختفى فيه العملة.

تساءل د. بوهاريش: كيف يصل ستون إلى مكان العملة؟ هل يستمد معلوماته من العملة ذاتها؟ أم أنه يتلقًى الرسالة التخاطرية من الموجودين بالحجرة؟ أم يعتمد على الخطوات التى مرَّت على عقل الذى أخفاها؟.. هل يعتمد فى رسالته التخاطرية على جميع الموجودين؟ أم يعتمد على أحد الأشخاص بالذات، وهو الذى يتسلَّم منه أقوى رسالة تخاطرية؟

فى إحدى التجارب، طلب إلى الشخص الذى أخفى العملة، قبل دخول ستون، أن يركز فكره على مكان آخر غير الذى أخفى فيه العملة.. عندما دخل ستون وقف كعادته عند مدخل الحجرة، واتَّجه إلى المكان الخطأ الذى يفكِّر فيه الشخص، ثم ما لبث أن اتجه إلى المكان الصحيح بعد ذلك.

كان ستون ينجح فى مهمته، سواء بقى الشخص الذى أخفى العملة فى الحجرة، أو خرج بعد ذلك من باب آخر إلى خارج الحجرة، فى حجرة مجاورة. وقد لاحظ بوهاريش أنه عندما لا يعلن لستون عن الشخص الذى أخفى العملة، كان يُمضى وقتًا أطول نسبيًّا، يتجوَّل فى الحجرة بين الموجودين، قبل أن يصل إلى مكان العملة.

يكون من السهل علينا تصوُّر إمكان اتصال العقول البشرية، على أساس توفُّر شرط الإرادة فى العقول التى يتم الاتصال بينها.. ولكن، ما هو الرأى فى إمكان الاتصال بين عقل الإنسان والجماد؟!

كيف يمكن فهم حقيقة أن الجماد يمكن أن يعمل كوسيط بين إنسان وآخر؟

لقد استطاع مجموعة من الأساتذة الجامعيين المتحمسين إثبات أن التخاطر يمكن أن يتم بين الإنسان والجماد.. وأن كلَّ ما نحتك به فى حياتنا اليومية: من أدوات أو أشياء، يحتفظ عنَّا بذكريات لا تضيع أو تتبدد، رغم ابتعادنا عنه بمسافات كبيرة.

سيكومترى.. أو التخاطر مع الجماد

وأخـيـرًا.. نـنـتـقـل إلى شكـل آخـر مـن أشكـال الاتصـال التخـاطرى.. نعنى بذلك الاتصال بين عقل الإنسان والجماد.. عندما يستطيع الشخص صاحب القدرات الخاصَّة أن يستمد المعلومات المطلوبة من جماد كانت له صلة بشخص آخر.. ونحن نعرف هذا باسم «الأثر»، فى الممارسات الشعبية.. وهذه الظاهرة الخاصَّة من ظواهر العقل البشرى يطلق عليها العلماء اسم «سيكومترى».

أول تجربة نعرضها لدراسة السيكومترى، قام بها دكتور بيلك، بالاشتراك مع دكتور دوكاس، عام ١٩٥٨. كان هدف التجربة أن تتم مع هوركوس، الذى أجرى معه د. بوهاريش تجارب التخاطر.

طلب بيلك من دوكاس الذى يعمل أستاذًا فى جامعة براون، بـ(رود أيلاند)، أن يرسل إليه شيئًا ما.. أىَّ شىء داخل صندوق محكم الإغلاق، ويحتفظ لنفسه بورقة تتضمَّن جميع المعلومات المتصلة بذلك الشىء الذى أرسله، على أن يرسل تلك الورقة فى خطاب بعد انتهاء التجربة.

تولَّى شخص لا يعرف شيئًا عن محتويات الصندوق، يدعى بول لورينج إحضار الصندوق المحكم الإغلاق من رود أيلاند إلى نيويورك. جرت التجربة فى حضور عدد من الشهود العاملين فى

حقل البحث العلمى. تم تسليم الصندوق مغلقًا إلى بيتر هوركوس.. وقام بيلك بتسجيل أقوال هوركوس على شريط تسجيل صوتى بالحجرة. قال هوركوس:

«هذا الشيء عاصر انفجارًا.. حدث الانفجار فى زمن قديم. أسمع لغة غريبة. هذا الشيء قديم جدًّا. وله أيضًا علاقة بالماء. لا أعلم حتَّى الآن كنه هذا الشيء، لكنى أرى لونه قاتمًا. إنَّه جسم غير منتظم، مشرشر جدًّا، حاد الأطراف. هذا الشيء يخص ثلاثة أشخاص.. أنا واثق من ذلك. دكتور دوكاس لم يشتر هذا الشيء. أعطاه له شخص ما.. هذا الشيء تم إصلاحه.. نعم إنه هدية من شخص ما.. لقد مات صاحب هذا الشيء.. بالطبع أنا لا أعنى دكتور دوكاس فهو بخير..».

عندما وصل خطاب دكتور دوكاس، الذى يتضمن وصف ما بالصندوق، جاء فيه:

«لقد سلَّمت السيد لورينج داخل صندوق محكم الإغلاق، آنيةً فخَّارية صغيرة، كانت مكسورة ثم جرى ترميمها، أهداها لى عام ١٩٢٢ المرحوم دكتور ستيفنسون سميث، أستاذ علم النفس فى جامعة واشنطن، وقال إن هذه الآنية عثر عليها وكانت محطمة، ضمن حطام مدينة بومبى بإيطاليا.. كانت مدفونة وسط رماد الحمم التى قذفها بركان فيزوف على المدينة.. أعتقد - ولست متأكدًا - أن دكتور سميث قال لى إنه اشتراها أثناء زيارته لأطلال بومبى.. هذا هو كلٌّ ما أعرفه عن هذه الآنية الصغيرة..».

من الواضح أن تخمين هوركوس جاء قريبا جدًا من المعلومات التى بالخطاب.. لم يستطع تحديد كنه ذلك الشىء باعتباره جرَّة أو إناء، ويبدو أنه أحسَّ بها وهى فى حالتها عند العثور عليها وقبل ترميمها، عدة قطع مشرشرة حادة الأطراف. وقد عرف أن الآنية جرى إصلاحها، كما استطاع أن يصل إلى بعض المعلومات عن الذين امتلكوا الآنية، وعرف أن دوكاس لم يشترها، بل تلقَّاها كهدية، وأن الشخص الذى أهداها مات.. وأن الشىء الذى فى الصندوق قديم جدًا عاصر انفجارًا، قاصدًا ثورة البركان.

هذا يعنى أن:

- هوركوس وهو يمسك بالصندوق المغلق، استطاع أن يصل إلى معلومات عن محتوياته، لا تتاح لأى شخص مدقق يسمح له بفحص الآنية، مستخدمًا كل ما يطلبه من أدوات الفحص المعملى.
- كما أن هوركوس لم يُدلِ بمعلومات عن الآنية تتجاوز معلومات دكتور دوكاس عنها.
- وهذا يعنى أن هوركوس قد استخدم الصندوق بآنيته كوسيط بينه وبين عقل دكتور دوكاس.

...

نلاحظ أن الوسيط هنا، بعكس الحالات السابقة، ليس شخصًا أو عقلا إنسانيًا.. بل آنية من الجماد.

الضابط المخمور:

في عام ١٩٥٩، دعي هوركوس لعرض قدراته في شارلستون، بجنوب كاليفورنيا، أمام ٣٠٠ ضابط من قوات الاحتياط. أرسل أكثر من ثلاثين منهم ببعض أشيائهم الشخصية التي أخرجوها من ملابسهم على صينية إلى هوركوس، الذي كان يجلس فوق المنصَّة.

التقط هوركوس من بين محتويات الصينية محفظة خالية.. أمسك المحفظة بيده لعدة لحظات، ثم قال: «صاحب هذه المحفظة مر بحادث سيارة منذ وقت قريب جدًّا. أرى ثلاثة أشخاص وقد أصيبوا في الحادث.. لم يكن صاحب المحفظة مسئولا عن الحادث.. أرى مشاكل حقيقية مع الشرطة.. نعم لقد كان حادثًا حقيقيًّا..».

ما توصَّل إليه هوركوس كان مثيرًا للغاية!.. فصاحب المحفظة برتبة قائد (كوماندور)، وكان يسوق سيارته بعد منتصف الليلة السابقة، في حوالي الثالثة صباحًا. لقد اعترف أنَّه قد احتسى بعض كئوس الخمر قبل أن يقود سيارته.. على جانب طريقه كانت تقف سيارة شرطة، بعد أن أوقفت سيارة أخرى لتجاوزها السرعة القانونية.. وكان ضابط الشرطة مع السائق المسرع وصديق له يقفون إلى جانب الطريق.. والضابط يفحص الأوراق على كشافات سيارة الشرطة.

عندما أقبل الضابط الكوماندور المنتشى بسيارته، لم ينتبه إلى الأنوار الخلفية التى أمامه، فاصطدم بها، فأصيب ضابط الشرطة والرجلان.

ونتيجة لأن الحادث وقع فى ساعة متأخرة من الليل، فلم يتح للجرائد أن تنشر شيئًا عن الحادث صباح ذلك اليوم، الذى كان هوركوس يقدِّم فيه عرضه.

وهنا أيضًا، قامت المحفظة (جماد)، بدور الوسيط بين هوركوس وعقل صاحبها.

قراءة الصورة الفوتوغرافية!

بعد تجارب تواصلت لما يزيد عن عامين، توصَّل بوهاريش إلى أن بيتر هوركوس يستطيع أن يصل إلى قدر كبير من المعلومات حول شخص ما، يستمدُّها من صورة فوتوغرافية لذلك الشخص، داخل غلاف ثقيل مغلق.. بل لقد كان قادرًا على الوصول إلى المعلومات بالاعتماد على السلبية (النيجاتيف).. الغريب عندما تكون معلوماته عن الشخص أقل عندما تكون مأخوذة من صورة منقولة عن صورة أخرى، ولم يتم استخراجها عن السلبية!

فى عرض جرى للعاملين فى أحد استديوهات الأفلام فى أمستردام بهولندا أرسل الحاضرون بعض أشيائهم الخاصة؛ ليروا ما يمكن أن يصل إليه هوركوس من معلومات.. التقط هوركوس مظروفًا مغلقًا من الورق المقوَّى، بداخله صورة فوتوغرافية لعائلة أحد الحاضرين، فقال على الفور:

«أرى فـى الصـورة الـتـى داخـل هـذا الـغـلاف، ولـدًا صـغيرًا فـى التـاسعة أو العـاشرة من عمره.. هذا الولد يتبع فى ذهـابـه إلى المدرسة طريقًا معينًا، يقتضى منه عند نقطة معينـة أن يعبر تقـاطعًا فى الطريق.. أنـا آسف أن أخبركم بهذا، ولكنِّى أرى الولد وقد صدمته سيارة أتوبيس صفراء، فى يوم أربعاء، عند وقت الظهيرة تمامًا..».

كلمات هوركوس هذه أثارت القلق فى نفس والدى الصبى؛ ذلك لأن الـوصـف الـذى أعطـاه هـوركـوس يطـابـق الطـريـق الـذى يسلكه الصبى فى سبيله إلى المدرسة يوميًّا. فى نـهـايـة اللقـاء، جاء إليه الوالدان وسألاه «ماذا نفعل لتفادى الحادث؟». قـال هـوركوس «أتصوَّر أن هذا يكون بمنع الصبى من الذهـاب للمدرسة فى أيام الأربعاء»، فعاد الوالد لسؤاله «ولكن إلى متى؟..» أجـاب هـوركوس أربعة الأسابيع التـاليـة قد تكون كـافية».

الـتـزم الـوالـدان بمـا أوصـى بـه هـوركـوس عـلـى مدى أربعـة أسـابيع، وعندمـا لم يحدث شىء للصبى، اطمـأنـا، وسمحـا لـه بـالـذهـاب إلى المدرسـة أيـام الأربـعـاء. وفـى الأسبـوع السـادس صدمت الصبى عربة أتوبيس تـابعة لإحدى شركـات الطيران (لم تكن صفراء)، فى نفس التقـاطع الذى أشار إليه هوركوس، وفى تمام الساعة الثـانية عشرة من ظهر يوم أربعـاء.. لكن الإصـابـة لم تكن شديدة، وشفى منها الصبى تمامًا بعد أيام قلائل.

من المهم هنـا أن نشير إلى عـامل، قد يقلل قيمة بعض النتـائج التى حققها فى هذه الواقعة.. فبعد تنبيه الوالدين على الصبى بـاحتمال وقوع الحـادث، يحتمل أن يكون للإيحـاء دخل فى الواقعة.

وحتَّى نفهم هذه الظاهرة المتصلة بالتخاطر من خلال صورة فوتوغرافية، نعرض واقعة أخرى.

ففي عام ١٩٥٦، زار جوليان هكسلي وزوجته معمل د. بوهاريش. وجوليان هكسلي هو العالم البيولوجي والمؤلف الشهير، أوَّل مدير لمنظمة اليونسكو في عام ١٩٤٦. وفي إحدى التجارب، أعطى هكسلي مظروفًا مغلقًا لهاري ستون وطلب منه أن يبقى عند الركن المقابل للذي يقف عنده هوركوس. كان المطلوب من هوركوس أن يركِّز تفكيره على المظروف الذي يمسك به ستون، ليرى ما بداخله.

قال هوركوس: إنها شخصية لطيفة للغاية، لم يحدث أن نطقت كذبًا، صريحة لا تتفاخر.. كانت تقيم في مستشفى، تعاني من مرض شديد.. أدخل حجرة بالمستشفي الآن، وأرى مكتبًا وامرأة شقراء. وفي البيت أرى شخصين.. لقد وصل بها المرض إلى مشارف الموت. أرى امرأة تسكن في ضواحي المدينة، وآلة موسيقية، وخاتمًا مفقودًا. أرى صورًا معلَّقة في هذا البيت لبعض الأطفال. أرى قنابل وطائرات، وصورة كتب عليها بخط اليد (لاتنسني، فربما نسيني فرانك وليليان) أشعر بوجود امرأة.

هنا، سمح لهوركوس أن يمسك بالمظروف بين يديه، فقال «أرى كلابًا وقططًا.. هذه الصورة داخل المظروف لسيدة شقراء الشعر، لها وجه مستدير..».

في هذه اللحظة، صاح جوليان هكسلي «لقد أخطأ هوركوس في كل ما قال!.. الصورة التي في المظروف لابني..»».

صدمت هوركوس هذه المواجهة، لكنَّه ما لبث أن استعاد ثباته، وقال لهكسلي «الآن أرى أنك على حق تمامًا.. فالتأثير الذي كنت أحكي عنه أتاني من صورة امرأة كانت لصيقة بصورة ابنك، داخل محفظتك.. انظر في محفظتك وسترى صورة السيدة التي كنت أتحدَّث عنها..»». أخرج هكسلي محفظته، ثم اعترف مندهشًا بأن صورة ابنه كانت إلى جوار صورة المرأة التي وصفها هوركوس، وتكلَّم عن تفاصيل أحوالها بكل دقَّة.

ما الذي نخرج به من هذه الواقعة؟

إننا بصدد كيان ينتقل من شيء إلى شيء آخر!.. في حالتنا هذه، كيان يحمل معلومات عن السيدة يتَّصل بصورتها، ثم ينتقل إلى صورة فوتوغرافية أخرى مجاورة لها في محفظة هكسلي.

ويعلق د. بوهاريش قائلاً: إنَّه من الممكن هنا أن نقول بأن الذاكرة المتعلقة بشخص ما، لا يقتصر انتشارها على عقل ذلك الشخص، بل تنتشر بين بعض الأشياء المتصلة به؛ حيث تعمل هذه الأشياء كمخازن للذاكرة، يمكن أن تنطلق منها بعد ذلك.

لغز الصور الفوتوغرافية:

ما الذي يحدث بالضبط في حالة الصور الفوتوغرافية؟.. هكذا راح دكتور بوهاريش يفكِّر.. نحن الآن نلتقط صورة فوتوغرافية لإنسان.. أي أن الضوء يسقط على ذلك الإنسان، ثم ينعكس من

فوق جسده إلى عدسة آلة التصوير، لينفذ منها متجمِّعًا على اللوح أو الشريط الحسَّاس، بما عليه من مواد كيميائية تتأثَّر بالضوء. ثم تجرى بعد ذلك عمليات كيميائية لإظهار الصورة على الفيلم وتثبيتها.. بعدها توضع السلبية فوق الورق الحساس، ويسلط الضوء بقدر معيَّن، يكفى لتأثُّر الورق الحساس بما على السلبية.. وبهذا الإظهار والتثبيت للورق الحسَّاس.. نحصل على الصورة الفوتوغرافية للشخص..

لكن يظل السؤال قائمًا.. ماذا فى هذه العملية الكيميائية الضوئية، يسمح لواحد مثل هوركوس بأن يحصل على معلومات أبعد ممَّا هو مسجَّل على الصورة؟.. معلومات قد تأتى من مكان وزمان، غير المكان والزمان اللذين التقطت فيهما الصورة.

ويحاول أن يطرح إجابة، فيقول «الثابت هنا، أن الذى ينتقل من الشخص إلى السلبية، ثم إلى الصورة الفوتوغرافية، يبقى على الفيلم والصورة كأثر دائم التسجيل، حتَّى يتاح له أن ينكشف إذا ما صادف عقلاً حسَّاسًا.. وأن هذا الذى ينتقل من شخص إلى صورة، ثم إلى شخص آخر، له طبيعة تتجاوز قدرات فهمنا الحالية، وليس له نظير علمى فى كل ما نعرفه عن أحوال المادة والطاقة..

هذه الحقيقة قادت بوهاريش إلى سلسلة من التجارب، يحاول بها التعرُّف على كنه ذلك الكيان.

وأيضًا من العقل إلى اللوح الحسَّاس!

تلخَّصت التجارب التى أجراها د. بوهاريش مع هوركوس حول قدرته على نقل صوره العقلية إلى اللوح الحساس لآلة التصوير. أعدَّ حجرة كاملة الإظلام، واضعًا آلة التصوير فى ركن من الحجرة، ثم التقط عدَّة صور، وحمل اللوح الحساس إلى معمل التصوير، فثبت عدم وجود أى بصيص من الضوء.

بعد ذلك، أجلس هوركوس أمام آلة التصوير، وطلب منه أن يركِّز تفكيره على صورة معيَّنة، ويحاول نقلها إلى اللوح الحساس. وعلى سبيل التسهيل، سمح لهوركوس بأن يتولَّى هو الضغط لفتح العدسة، عندما يشعر أن قدرته على التركيز بلغت غايتها.

تم الأمر وفقًا لذلك، وقبل تحميض الصورة، سأله بوهاريش عن الصورة التى ركز عليها عقله، فقال إنها صورة لرأس بشرى. عند تحميض الفيلم، ظهرت وسط ظلام الصورة، بقعة من الضوء سداسية الشكل، أقرب إلى الشكل البيضاوى..

رغم عدم وضوح صورة محدَّدة لرأس إنسان، فالذى نخرج به من هذه التجربة، أن هوركوس فعل شيئًا ضد قوانين الطبيعة والكيمياء.. لقد جلس فى حجرة مطبقة الإظلام، واستطاع ـ بمجرَّد إرادته ـ أن يرسل ضوءًا يظهر على اللوح الحسَّاس.

كانت دهشة د. بوهاريش شديدة لهذه النتيجة، ممَّا دفعه إلى القيام بمئات التجارب التى أكَّدت الظاهرة. قام بالتجربة دون

فتح عدسة آلة التصوير، فظهرت خطوط وأضواء على الفيلم الحساس.. بل إنه أجرى تجربة استطاع فيها هوركوس أن يسجل الأضواء والأشكال على ورقٍ حساس داخل مظروف.. دون الاحتياج إلى آلة التصوير!

سيروس العجيب:

هذه النتيجة تتفق مع التجارب التى قام بها العالم جول أيزنباد، أستاذ العلاج النفسى بالمدرسة الطبية بدنفر، مع شخص آخر يتمتع بقدرات متميزة واضحة، وكان اسمه «سيروس».

فى هذه التجارب، كان سيروس يجلس أمام عدسة التصوير، فيطلب أيزنباد أن يركز تفكيره على منظر أو مشهد ما، فينجح فى ذلك، واستطاع سيروس أن يسجل مئات الصور لبنايات وبشر، ومناظر طبيعية وصواريخ وسباق سيارات!

لقد جرى أمام الشهود من العلماء فحص سيروس فحصًا كاملاً، واختباره بالأشعة السينية، كما جرى تثبيت وضعه أمام عدسة آلة التصوير، مقيدًا برداء لا يسمح له سوى بتحريك رأسه. وقد جرى تسجيل تفاصيل التجربة بآلات تصوير سينمائية، للتثبُّت من عدم خضوع الشهود لنوع من الإيحاء الجماعى. ومع هذا فقد توالت الصور التى يسجلها سيروس. أجرى أزينباد التجربة فى ظل مجال مغناطيسى تبلغ قوته ١٢٠٠ جاوس، أقوى آلاف المرات من المجال المغناطيسى للأرض. ثم أجرى نفس التجربة داخل قفص (فاراداى)؛ حيث

ينخفض المجال المغناطيسى للأرض إلى الثلث. كما تمت التجربة داخل حجرة حوائطها من الصلب الذى يبلغ سمكه خمس بوصات؛ لحجب أى إشعاع من الخارج.. بل لقد سجل سيروس صورة، حتى عندما وضع بينه وبين آلة التصوير لوحًا من الزجاج المسقى بالرصاص سمكه نصف بوصة، وهو ما يمنع الأشعة السينية من النفاذ.

الملاحظ، أن سيروس كان أثناء التجربة يمارس تركيزًا شديدًا.. يفتح عينيه، ويضغط شفتيه، وتصبح عضلات جسمه كلها متوترة ومشدودة، وترتعش أطرافه، وتنفر عروق وجهه، وتحمر عيناه.. وهذا يعنى أن سيروس كان يستحضر حالة (الأدرينرجيا)، التى يتصف بها المرسل فى الاتصال التخاطرى. غير أن هدف الرسالة فى حالتنا هذه لم يكن شخصًا، بل كان اللوح الحساس الموجود داخل آلة التصوير.

صور سيروس التى كان يسجلها، لم تكن تشبه الأضواء والظلال التى كان يسجلها هوركوس، بل كانت صورًا فوتوغرافية كاملة التفاصيل، بأضواء وظلال مطابقة للأصل.. ربما فيما عدا بعض التفاصيل الغريبة الصغيرة، مما يؤكد أن سيروس يسجل الأشياء كما يحتفظ بها فى عقله، وليس كما هى بالضبط فى الواقع.

فى إحدى المرات، سجل صورة لمتحف اللوفر من الخارج. وعند مقارنة تلك الصورة بالصورة الحقيقية للمتحف تبين أنه أضاف بعض الأشياء، ونسى أشياء أخرى.. كأن يضيف

بابًا، أو ينسى نافذة. كما أن ظلال صورته لم تكن تخضع للمنطق الطبيعى، من حيث علاقة المشهد بمصدر الإضاءة.. ولا المنطق الطبيعى لقواعد المنظور، فقد بدا المبنى كما لو أنه ينظر إليه من زاوية محددة فى بعض أجزائه، ومن زاوية أخرى فى الأجزاء الأخرى.

فى أدبيات الظواهر الخاصة للعقل البشرى «الباراسيكولوجى»، يطلق هذه القدرة على التأثير فى المادة، أو الجماد، بمجرد الإرادة وقوة العقل اسم (سيكو كاينيسيس)، ولها تطبيقات عديدة سنصادفها فى أجزاء أخرى من هذه السلسلة.

وفيما يلى، سنرى جهدًا آخر للدكتور بوهاريش، ينصب على ذلك الكيان الذى يخرج من عقل الإنسان ويحدث تغييرًا فيما حوله، ويقوم بما لايدخل فى قدرة الإنسان العادى.

المركز المتحرِّك للإدراك

من بين الموضوعات التى شملتها تجارب د. بوهاريش، ظاهرة خروج الإنسان من جسده، دون أن يرتبط هذا بتجربة الاقتراب من الموت. وذلك الكيان الذى يخرج من جسد الإنسان خلال هذه الظاهرة يطلق عليه د. بوهاريش اسم «المركز المتحرّك للإدراك».

يقول د. بوهاريش «خير وسيلة لفهم طبيعة المركز المتحرّك للإدراك، هو أن ندرس خبرات أحد الذين يمارسون هذه القدرة..». وهو يشير هنا إلى دراسته التى قام بها مع رجل فى الرابعة والأربعين من عمره، يعمل بنجاح فى أكثر من ميدان.. منتجًا للبرامج الإذاعية، وكاتبًا دراميًّا، ورجل أعمال.. وهو يتمتّع بحياة عائلية سعيدة. ورغبة فى تجنُّب ما قد تُحدثه رواية تجربته من أثر سلبى على مجرى عمله، لقد آثر د. بوهاريش أن يخفى اسمه الحقيقى، ويطلق عليه اسم «بوب».

اعتمد بوهاريش فى بداية الأمر على المذكرات التفصيلية التى كتبها بوب عن تجاربه وخبراته غير العادية، ثم عمد إلى التثبّت من صحّتها بشكل علمى. ودعونا نرى ماذا قال بوب فى مذكراته.

خبرات قديمة مع البنزين!

أود هنا أن أسجل ما مرَّ بى من خبرات، حتى لا يحدث - لسبب لا أدريه، أو لطارئ يلم بى - أن يستحيل علىَّ استعادة هذه الخبرات أو تدوينها.. ليس لى من هدف من كتابة هذه المذكرات سوى تسجيلها.. أى أن أضعها على الورق.. حتّى تصل إلى شخص ما لا أعرفه بعد، يستثمرها فى غرض لا أدركه الآن.

لقد اعتزمت ألا أمزق هذه الأوراق أو أتلفها، فى ظل أى ظروف قد تطرأ فى المستقبل.. اعتزمت أن أبقيها بكل ما فيها من صدق وأمانة وموضوعية.

ولنسرد القصة من بدايتها:

كنت فى أحد الأيام أصلح بعض الأدراج فى حجرة الأولاد.. ووجدت أن أحد الأدراج قد انفصل عنه مقبضه الخشبى، وفكرت فى تثبيته باستخدام المادة اللاصقة. تناولت علبة المادة اللاصقة، وفتحتها، ورحت أبسطها على مكان المقبض من الدرج.. شعرت أثناء ذلك بنوع من الدوار الخفيف، وتصوّرت أننى فقدت إدراكى لبعض الوقت. وعندما عدت إلى حالتى الطبيعية، وجدتنى مازلت أمسك بالفرشاة، أطلى قطعة الخشب بالمادة اللاصقة، لكنى وجدت هذه المادة عالقة بيدى ووجهى، مما يوحى بأننى أثناء الحالة التى مررت بها، انكفأت على قطعة الخشب، بما عليها من طلاء لم يجف بعد. من رائحة ذلك الطلاء، استنتجت أن سبب فقدانى لشعورى كان استنشاقى

مادة إثيل الإتير، التى تدخل فى تركيب المادة اللاصقة. ثم اكتشفت على غطاء العلبة التحذير المكتوب بحروف كبيرة، والذى يفيد ضرورة استعمال الطلاء فى ظروف الهواء المتجدد، وعدم استنشاقه فى مكان مغلق.

احتلت هذه التجربة جانبًا من تفكيرى لبعض الوقت. وتذكرت ما حدث لى فى طفولتى، عندما كنت أقوم باستنشاق البنزين بقوة، حتى أشعر بنوع من الدوار. كما تذكرت الأثر الغريب للإتير ولغاز أكسيد الأوزوتوز - وهو الذى يعرف باسم الغاز المضحك - فى المرات القليلة التى استنشقتهما فيها ضمن عملية التخدير الطبّى.. تذكّرت جيدًا أن ما كان يمرُّ بى فى مثل تلك الخبرات، كان عبارة عن مشاعر حقيقية، وليس مجرد أحلام.

شعاع الطاقة الغريب:

ذات ليلة أصابنى الأرق، حوالى الثانية بعد منتصف الليل.. ذهبت إلى حجرة المكتب، وأحضرت علبة المادة اللاصقة، وهبطت بها إلى بهو المنزل.. وجلست هناك أستنشق ما بالعلبة بين الحين والآخر.. فى أول الأمر لم أشعر بشىء غير عادى، ولا حتى ذلك الشعور بالدوار. ثم فجأة.. وأنا أتطلع إلى العلبة، أحسست كما لو أن شعاعًا من طاقة ذات طبيعة لا أدركها، قد انطلق من موضع منخفض عنّى، عابرًا النصف العلوى من جسدى.. فى الحقيقة أنا لم أر ذلك الشعاع، ولكنى شعرت به، كنت أحسُّ بحدوده وإطاره.. ذلك الشعاع لم يكن ينتشر فى البهو، بل كان مركزًا على جسدى، كما لو كان يصدر من مصباح يدوى.

أحسست بدفء فى جسمى، مع ذبذبات ذات تردد منخفض فى الجزء الأسفل منه.. كنت أدرك بشكل من الأشكال أن هذه الحالة تتضمّن نوعًا من الاتصال.. أحسست أننى أشارك فى اتصال ما.. كنت كالذى يضع سماعة التليفون على أذنه، فلا يسمع شيئًا، لكنه يحسُّ بوجود شخص على الطرف الآخر لايريد أن يتكلم..

بعد عدة دقائق، بدأ الشعاع فى التبدد، وما لبثت أن غرقت فى نوم عميق.

زيارة الملهى الليلى:

عدت لأكرر تجربة الاستنشاق أكثر من مرة.. وفى كثير من المرات كنت أشعر أننى على اتصال بمكان بدا لى كأحد الملاهى الليلية.. الحقيقة أننى لست متأكدًا، فربما كان شيئًا آخر.. كنت أشعر أننى على اتصال بالمكان سمعيًا وبصريًا.

كان المكان عبارة عن قاعة طولها ١٥ مترًا وعرضها ٧ أمتار. عند إحدى نهايتى الصالة توجد منصة، شبيهة بالمنصَّة التى تجلس فوقها الفرقة الموسيقية فى الملاهى الليلية. أما منتصف الصالة فقد كان خاليًا، كما لو أنه كان مخصصًا للراقصين.. وفيما عدا الضوء المسلّط على المنصة، كانت إضاءة القاعة خافتة جدًّا، وكانت سحب الدخان تنعقد فى الحيز المضاء من المنصَّة.. كنت أحس بوجود جمهور فى المنطقة المعتمة حول

المكان المخصص للرقص، وأن ذلك الجمهور ينتظر إعلانًا ما سيذاع عليه.. لم تكن هناك فرقة موسيقية فوق المنصَّة، وكان ينتصب فوقها الميكروفون الوحيد. ومن جمهور القاعة، كان يصدر ذلك الأزيز الخافت الناتج عن حديث الموجودين.

كنت أشعر بوجودى فى مكان ما على يسار المنصَّة، فى نهاية الرقعة المخصصة للرقص.. وبينما كنت أتطلع حولى، تقدم رجل يرتدى سترة لاتناسب جسده، ذات لون حائل، واتّجه نحو المنصَّة يحمل عدّة أوراق.. بدأ يقرأ إعلانًا ما من أوراقه، وتقدم لمسافة خطوتين بعيدًا عن المنصَّة، ثم انصرف.

فى تجارب الاستنشاق التالية، كنت أقوم بزيارات أخرى إلى نفس المكان.. وفى بعض المرات كان المكان يبدو خاليًا..

حتّى الآن لا أستطيع تفسير تلك التجربة!. لم أكن أمرّ بتجارب من هذا القبيل فى بعض محاولات الاستنشاق.. كنت أشعر فقط بالتوتّر فى أعصابى يتزايد، وأن شيئًا من حولى يتسارع أكثر فأكثر.. ومع هذا كان نبضى عاديًّا..

كنت أشعر بوضوح أننى قد تجاوزت «نقطة» المرور العابر بالتجربة، رغم أننى لم أصل إلى أبعد من الإحساس بعدم الراحة.. وبدأت أشعر أن كلامى وحركتى أصابهما الكسل والخمول، فأذهب لأنام، وعندما أفيق من نومى لم أكن أعانى سوى إحساس بالعطش الشديد.

السباحة فوق السرير!

ثم حدثت التجربة التى أعتبرها نقلة نوعية بالنسبة لما سبقها من التجارب. كنت نائمًا على السرير إلى جوار زوجتى.. وعندما جافانى النوم، وطال الأرق، مددت يدى ـ كالعادة ـ إلى علبة المادة اللاصقة، أستنشق بعمق، على أمل أن أغرق فى النوم.. بدأت نفسى تنزلق إلى الحالة التى وصفتها من قبل، أعنى الإحساس بذلك الشعاع.. شعرت بشىء من التعب، فرغبت فى الخروج من هذه الحالة.

لكننى أحسست فجأة بهدير قوى يدور فى رأسى، ونفس نوع الذبذبات المنخفضة فى الساقين.. فعزمت أن أمضى فى التجربة هذه المرّة.. بدأ نوع من «القوى» يجتاح جسدى من أعلى إلى أسفل بشكل منتظم، وبعد قليل تعوّدت عليها. فكّرت فى الاستفادة بعض الشىء من طاقة هذه «القوى».. حاولت بعقلى أن أدفع تلك «القوة» إلى تحريك جسدى بعيدًا عن السرير.. فحدث!!

رحت أطفو إلى أعلى بما يزيد عن المتر. استدرت فى الهواء ونظرت إلى أسفل، لأجدى جسدى ما زال راقدًا على السرير!.. كنت أرى زوجتى تنام إلى جوار جسدى.. كنت أراها بوضوح من موقعى.. حلقت فوقها بمجرد شعورى بالرغبة فى ذلك، ثم هبطت قليلاً ورحت أربت على خدِّها، لكن لم أكن أجد منها أية استجابة. عدت لأطفو ثانية فوق جسدى، ثم انشغلت بمحاولة العودة مرة ثانية إلى جسدى، فهبطت بحيث لامست جسدى وجهًا لوجه، فلم أشعر بشىء.. كان جسدى يرقد فوق السرير على ظهره، وكنت أواجهه حائرًا، وقد

تضاعف قلقى.. ثم فجأة، بدا أن الفكرة وصلت إلىَّ، فدرت حول محورى؛ لأصبح مواجهًا لسقف الحجرة، فأحسست بامتزاج مفاجئ، شعرت بعده أننى عدت إلى جسدى، وجدتنى أستلقى مفتوح العينين أتطلع من النافذة إلى السماء نصف المظلمة فى الخارج.

بين الغوص فى الأرض، والتحليق فى الفضاء:

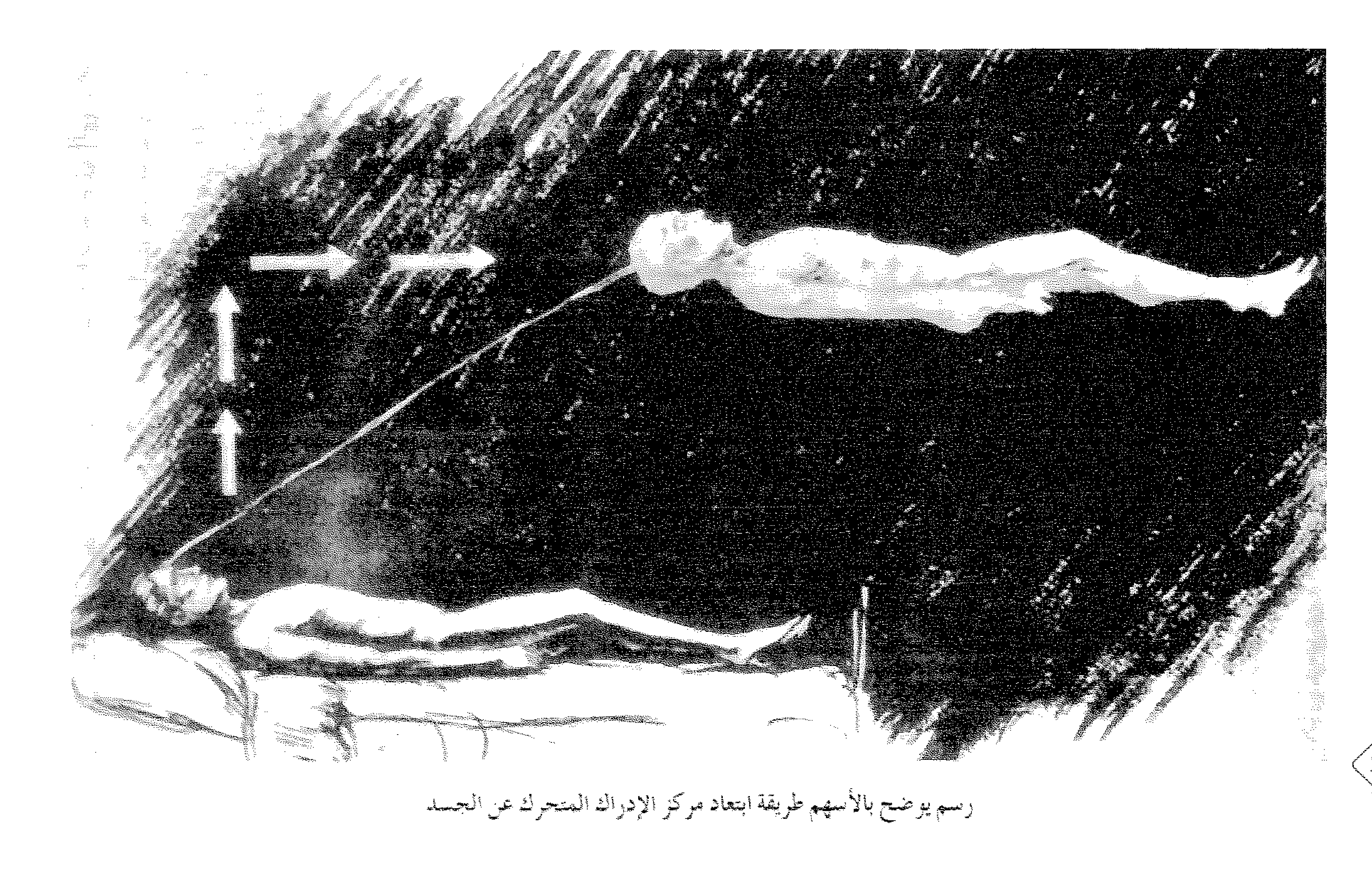
ثم تتابعت التجارب..

ذات مرّة كنت وسط هذه الحالة الغريبة، راقدًا فوق سريرى، تحركت فوق جانب السرير، وأخرجت ذراعى من جسدى، ثم لمست الأرض. اعتمادًا على إحساسى بتلك «القوة»، دفعت يدى فى أرض الحجرة، فاخترقتها.. لمست مسمارًا ثم قطعة من الخشب، ثم غاصت يدى فى نشارة خشب.. مددت يدى أكثر، فوصلت إلى ماء مندفع.. أخذت أحرك يدى لبعض الوقت فى تيار الماء.. وعندما سحبت يدى، وجدتها جافة لا أثر فيها للماء.. ثم شعرت أن (قواى الخاصة) تتبدد، ووجدت الذراع الممدودة تعود ثانية إلى مكانها فى جسدى.. كل ما فكرت فيه فى أعقاب هذه التجربة هو: ماذا لو تلاشت تلك القوة الخاصة، بينما ذراعى مغروسة حتى منتصفها فى أرض الحجرة؟!

وفى تجربة أخرى، كنت فى حجرة مكتبى، أرقد مفكرًا على أريكتى ـ كالعادة ـ عندما بدأ شعورى بالذبذبات، ثم وجدت نفسى أطفو حتى وصلت إلى سقف الحجرة.. طرأت على خاطرى فكرة.. إذا كنت أحلق هكذا بسهولة فى الحجرة، لماذا لا أحلق فى الفضاء؟



رسم يوضح بداية خروج مركز الإدراك المتحرك من الجسد



رسم يوضح بالأسهم طريقة ابتعاد مركز الإدراك المتحرك عن الجسد

اتجهت إلى باب الحجرة لأفتحه، فوجدته قد تحول إلى رمز، كما لو أن صديقًا حميمًا هو الذى فتح الباب. خرجت ورحت أحلق طائرًا بين الأشجار، حتى وصلت إلى شبكة من الأسلاك والأغصان، أحسست أنه سيكون من الصعب علىَّ أن أمضى لما هو أبعد.. ثم شعرت أنها لم تكن أسلاكًا أو أغصانًا، بل حدود قدرتى الجديدة، أو مجال «قوتى».. بمجرد إدراكى لذلك، اختفت الأسلاك والأغصان، ورحت أحلّق بقوة إلى أعلى.. بسرعة أكثر وثقة أكبر.

ثم وجدتنى أحلق فوق سحابة كبيرة ممتدة.. وتمنيت التحليق لارتفاع أكبر، لكنى أحسست بكيانى ينجذب إلى أسفل، ليس بسقوط مفاجئ، ولكن بحركة رقيقة ناعمة.. أدركت ـ دون ضيق ـ أننى أعود إلى جسدى.. كم كانت تجربة مثيرة!

فى فراش المرأة الغريبة:

ويواصل بوب سرد وقائع خروجه من جسده للباحث دكتور بوهاريش..

أكثر (الرحلات) التى قمت بها إدهاشًا، بدأت بنفس طريقة الخروج من الجسد، غير أنه بدلا من التحليق إلى أعلى، وجدتنى أنطلق بسرعة شديدة فى الفضاء.. مرَّ ما أحسست أنه زمن طويل.. وفجأة، وجدت نفسى أقف فيما يشبه المسرح، على أحد جانبى الجمهور المحتشد فيه، كنت أدخن فى هدوء، وسط إضاءة شبه مظلمة. كان يجرى تقديم عمل تاريخى على المسرح.. على الأقل

لم تكن الملابس حديثة.. وعندما لم أجد جديدًا فى وقفتى تلك، رغبت فى ترك المكان.. ومرة ثانية شعرت بالتسارع الخاطف فى الفضاء.. ثم فتحت عينى لأجد نفسى فى فراش غريب!

كانت إلى جوارى امرأة غريبة تبتسم فى وجهى، وإلى جوارها امرأة أخرى أكبر منها، وقد ظهرت عليهما علامات الراحة والسعادة بعودتى إلى الوعى!. كان ما حولى يوحى بأننى بقيت مريضًا لفترة من الزمن، وأننى بدأت أتماثل للشفاء.. ساعدتنى على مغادرة الفراش، وارتداء ثوب غريب الشكل (ظهر لى الثوب عاديًّا حينذاك). كنت أعرف أننى لست الشخص الذى يظنونه. حاولت أن أخبرهما، لكن نظراتهما أوحت بأنهما مقتنعتان بأن قولى هذا عرض من أعراض المرض الطويل الذى عانيته.

سألت المرأة التى إلى جوارى عن تاريخ اليوم.. فابتسمت دون أن تتكلّم.. طلبت منها أن تأتينى بنتيجة أو تقويم، فلم تتحرّك.. أخيرًا سألتها عن السنة التى نحن فيها، فقالت: ١٩٢٤!

ساعتها، أدركت ضرورة ألاَّ أبقى فى هذا المكان والزمان الخطأ أكثر من هذا.

وبالرغم من اعتراض السيدتين، وجدت نفسى أتحامل لأخرج إلى الهواء الطلق. حاولت أن أنطلق، فأحسست أن شخصًا ما يجذبنى إلى أسفل.. حاولت التحليق مرة ثانية فلم أنجح.. وأخيرًا، تذكرت حيلة تقوم على التنفس.. بدأت أتنفس بشدة وقوة من

الشفتين.. وجدت نفسى أرتفع عن الأرض ببطء فوق البناء الذى كان على شكل حرف (يو) الإنجليزى.. لكن، بقى معى الإحساس بما يجذبنى إلى أسفل.. رحت أتنفّس بشكل أقوى فأقوى وبسرعة متصاعدة، لأجد نفسى منطلقًا فى الفضاء الأزرق الذى تعوّدت عليه فى رحلاتى السابقة.. فتحت عيني، ونظرت، فوجدت بعيدًا جدًّا تحتى ما يشبه الكرة الأرضية، كما يمكن أن تظهر لطائرة تحلّق على ارتفاعات كبيرة جدًّا فى الفضاء!

الهدير الراعد!

جاءت بعد ذلك التجربة المؤثّرة المقنعة التالية، والتى مررت بها دون استنشاق أيضًا:

ذات يوم، غادرت حجرتى بالبيت، متجهًا إلى مكتبى أعلى التل، مدفوعًا بحاجة لاشعورية لا أدريها. فى حجرة مكتبى المنعزلة، كنت أستلقى على الأريكة، وكنا فى الرابعة عصرًا..كانت الشمس ترسل أشعّتها إلى الحجرة من خلال النافذة العريضة..

أمسكت بورقة وقلم، وبدأت أفكّر وأدون ملاحظاتى حول التجارب الغريبة التى مررت بها.. رحت أفكر فى العلاقة بين مجال القوة البشرية، وبين القوى الكلية ذاتها.. المغناطيسية، والموجات الكهرومغناطيسية، والكهرباء الاستاتيكية.

أثناء انهماكى فى التفكير وفى محاولة الربط بين هذه العناصر، سادنى إحساس بالنعاس الشديد، بحيث كنت أجاهد

لكى أفتح عينى.. تركت القلم والورقة التى كانت تغطيها بعض الرموز التى تعكس تصوراتى الذهنية للقوى التى كنت أفكر فيها، واستدرت بجسمى لكى أنام.

بقيت راقدًا هكذا للحظات، ثم رفعت رأسى ونظرت بدون قصد إلى الشمس.. وعلى التو أحسست فى رأسى بالذبذبات، وبذلك الهدير المعتاد.. أغلقت عينى.. كانت القوى التى تسودنى فى أوجها، ومع ذلك لم أشعر بالخوف.. فتحت عينى شاعرًا أننى فى كامل وعيى، وقد ظهر كل ما حولى طبيعيًا، فيما عدا الذبذبات والهدير الراعد الذى يدور فى رأسى.

أغلقت عينى ثانية، وفكرت فى أن «أقلع».. وعلى الفور وجدتنى أطفو فوق الأريكة.. تحركت إلى وسط الحجرة، ثم تركت نفسى لأهبط برفق حتى لامست الأرض برأسى وكتفى، بينما كان باقى جسدى يرتفع فى الهواء.. فتحت عينى، فرأيت ما فى الحجرة من الزاوية التى كنت أنظر منها، وليس بالتأكيد من موقع جسدى على الأريكة.. طفوت إلى أعلى ثانية، وفكرت فى أن أذهب إلى مكان آخر..

بدا وكأننى أعرف جيدًا كيف أرتفع فى الفضاء عندما أريد.. كان يكفى أن أقوس ظهرى، ثم أندفع، لأتحرك بسهولة خلال سقف الحجرة.. حدث شىء جديد.. أحسست أننى أنزلق فى نفق مصمم على أبعاد جسمى بالضبط، ثم أندفع فيه بسرعة كبيرة!

في لحظة خاطفة.. وجدت نفسى أقف فى حمام.. رأيت الدشّ والبالوعة، والمياه المراقة على الأرض. خرجت من الحمّام عابرًا بابًا مزدوجًا، فوصلت إلى قاعة يبلغ طولها حوالى ٧ أمتار، ذات بلاط في لون الرمال الصفراء.. انحرفت القاعة بعد ذلك بزاوية قائمة إلى اليسار، لتقودنى إلى ممر فى صدره مكتب يجلس إليه رجل يرتدى رداء أبيض.. نظر الرجل إلى مبهوتًا، وهو ينهض. ومن النهاية الأخرى للممر أقبل رجل آخر يرتدى (برنس) حمام، تصوّرته أحد العاملين فى ذلك المكان.. نظر إلى نظرة غريبة، فسألته: أين أنا؟.. أجاب بلهجة تعكس عدم ارتياحه، وهو يتطلّع إلى جسدى، وليس إلى وجهى (لا أعلم إذا كنت ساعتها عاريًا أو أضع على جسدى أى ملابس)، قال إننى فى حمام (كذا)، وأعطانى عنوان المكان.

أنا ـ وأثناء كتابتى هذا الآن ـ لا أذكر اسم الحمام أو العنوان، لكنى واثق من أننى سأتعرف عليهما إذا ما ذكرهما شخص أمامى.

سألتهما إذا ما كان بإمكانهما أن يتذكرانى ثانية إذا تقابلنا ثانية، أجابا بعصبية أن ذلك فى مقدورهما. كررت سؤالى، فأجابا بشكل قاطع أنهما سيتذكّران.. كان هدفى من ذلك أن أتمكن من توثيق هذه الزيارة، كدليل على حالة خروجى من الجسد.

الدليل الحاسم:

عدت إلى جسدى، بعد رحلة العودة، وبدا كل شىء بالنسبة لى طبيعيا.. شجعنى هذا على أن أجرب ثانية.. أغلقت عينى مستعيدا شعورى السابق، فشعرت هذه المرة فى كلّ جسدى بنوع من «التنمُّل» الخفيف. طفوت فى فضاء الحجرة وأنا أفكر فى زيارة

صديقى بوريس وزوجته لومار. كان بوريس مريضًا لا يغادر فراشه منذ عدة أيام، لذا فكرت فى زيارته فى حجرة نومه التى لم أدخلها من قبل، حتى إذا ما وصفتها له بعد ذلك بدقة، كان ذلك شاهدًا حيًا على حقيقة «الرحلات» التى يقوم بها كيانى.

مرة أخرى، أحسست بدورة فى الفضاء، ثم الاندفاع داخل النفق، مع إحساس بالصعود إلى أعلى.. كان بوريس ولومار يعيشان فوق تل على بعد خمسة أميال من حجرة مكتبى.

أحسست بصعوبة فى ارتقاء التل، وراودتنى فكرة أن القوى التى أتحرك بها قد ضعفت، وأننى لن أتمكنُ من مواصلة الرحلة. مجرّد عبور هذه الفكرة، أحسست كما لو أن أحدًا قد وضع كلتا يديه تحت ذراعى ورفعنى إلى أعلى.. أحسست باندفاع ناتج عن قوة الدفعة، فأسرعت فى طيرانى صاعدًا التل فى اتجاه بيت بوريس.. ولدهشتى وجدت بوريس وزوجته لومار يسيران خارج البيت.. كان بوريس يضع على رأسه قبعة، ويرتدى معطفًا خفيفًا، أما لومار فقد كانت ترتدى ملابس داكنة ومعطفًا ثقيلاً.

كانا يقبلان ناحيتى، فتوقفت.. كانا يبدوان فى حالة جيدة، يسرعان فى مشيتهما.. عبرانى دون أن يلاحظا وجودى واتجها إلى مبنى يشبه الجراج.. أخذت أحلّق حولهما محاولا لفت نظرهما إلى وجودى، ولكن دون جدوى.. توقفت عن محاولاتى عندما خيل إلى بشكل أو بآخر أن بوريس يقول لى: «اسمع.. أنا بالتأكيد أراك.. فلا حاجة بك إلى استنشاق المادة اللاصقة أكثر من ذلك..».

عندما سردت على زوجتى ما حدث فى زيارتى الأخيرة، أنكرته، مستبعدة احتمال وجودهما خارج المنزل، فقد كان من المفترض أن يلزم بوريس فراشه.

فى المساء طلبت بوريس ولومار تليفونيًّا.. لم أقل سوى سؤال واحد: أين كنتما بين الرابعة والخامسة عصر اليوم؟.. كانت لومار على الجانب الآخر من الخط، وقالت إنهما خرجا من بيتهما حوالى الرابعة والنصف، واتجها إلى الجراج.. كانت تريد أن تذهب إلى مكتب البريد فى المدينة، فقرر بوريس أن بعض الهواء النقى قد يفيده، فارتدى ملابسه وخرج معها..

سألتها: ماذا كانا يرتديان؟.. قالت لومار إنها كانت ترتدى تنورة سوداء، وإن بوريس كان يضع قبعة خفيفة على رأسه، ويرتدى معطفًا خفيفًا.. كان يهمنى جدًّا ألا أبدأ أنا بوصف ما رأيته، فلم أكن أحاول أن أثبت حقيقة ما يحدث لهما، أو لأى أحد غيرهما.. كنت أكثر اهتماما بإثبات ذلك لنفسى.. وكانت النتيجة مثيرة جدًّا.

لقد أثبتت لى هذه الواقعة أن ما يجرى لى، يتجاوز ما تعارفت عليه العلوم العادية حول الأحلام، وأبعد مما تبحث فيه العلوم النفسية.. لقد تأكّدت أن الأمر معى لم يكن مجرّد اختلال فى سير العقل وخروج عن المألوف، أو هو نوع من الصدمة النفسية أو الهلوسة.

لقد كنت محتاجًا إلى الدليل، أكثر من حاجة أى شخص آخر إليه.

مركز الإدراك المتحرك:

يعقّب دكتور بوهاريش على هذه المقتطفات من مذكرات الشخص الذى يرمز إليه باسم «بوب».. فيقول إن كلمات هذه المذكرات قد لاتحتاج إلى تعقيب.

وهو يقسّم تجربة «بوب» مع استنشاق مادة إثيل الإتير إلى مجموعة نتائج..

تجربته الأولى، قادت إلى النوع الأوّل، وكان أثرها لطيفًا، مصحوبا بالدفء، والاسترخاء، وشيوع الذبذبات ذات التردد المنخفض فى الجسم. وهو يرى أن تجارب الاستنشاق الأولى، قادت إلى ما يشبه الأحلام الرمزية، أو إلى خليط من الأفكار المتشابكة والتداعيات.. وربما بعض الخبرات التخاطرية «التلباثية»، والتى تعنى الاتصال غير المباشر بآخرين، فى غير المكان أو الزمان.

فى تجارب أخرى، لم تتحقق تلك الحالة، بل قاد الاستنشاق إلى شعور بالخمول والرغبة فى النوم. على كل حال، فالذى يهمنا فى هذا كله، أن تواصل تجارب الاستنشاق هذه قادت إلى قمة التجارب.. إلى الخروج من الجسد.. والخروج على صورة «مركز إدراك متحرك».

كان حديثنا، مع تنوع الوقائع، حول العقل البشرى، والرسائل التى تصله خارج النطاق اليومى الطبيعى، المتعارف عليه من

الجميع.. لكن، ما هو الوضع بالنسبة للعقل البشرى، عندما يتم حرمانه حرمانًا كاملاً من الرسائل التقليدية التى تعود عليها.. عندما يفتقد عقل الإنسان أى معلومات عن الطقس الذى يوجد فيه، أو ملمس الأشياء القريبة منه، أو صوت الأشياء مثل ضجيج الطريق، ونداءات الباعة، أو الأحاديث الشخصية التى تدور عادة حوله فى البيت، أو العمل؟..

لقد استطاع العلماء أن يتعرفوا على أثر ذلك الانقطاع، وأن يحددوا أكثر الوسائل فعالية فى الوصول إلى الانقطاع الكامل.

انقطاع الرسائل.. والهلوسة!

رأينا فى تجارب التخاطر، نماذج من انتقال الرسائل بين العقول.. ولكن ماذا يحدث عندما تنقطع هذه الرسائل تمامًا؟

ضمن دراسات الهلوسة، وآلياتها، وأدوات الوصول إليها، قام العلماء بتجربة مثيرة لمعرفة الذى يحدث عندما تنقطع الصلة بين الإنسان ومحيطه انقطاعًا كاملاً.. تم وضع المتطوع داخل حجرة عازلة للصوت والضوء، وذات درجة حرارة ثابتة.. وفى تجارب أخرى، جرى وضع المتطوع غاطسًا داخل وعاء كبير مملوء بالماء، الذى له نفس درجة حرارة الجسم، حتى يتم إلغاء حاسّة اللمس أيضًا.. وبالطبع مع ترتيب قدرته على التنفس بشكل منتظم.. هكذا، يتم إلى حد بعيد جدًّا، حجب جميع الرسائل التى اعتاد العقل على استقبالها من محيطه الخارجى.

فماذا كانت النتيجة؟.. النتيجة المباشرة، فى جميع الأحوال، كانت الهروب من الرتابة إلى النوم.

وما إن يستنفد المتطوّع قدرته على النوم، ويجد هذا المهرب مسدودًا أمامه، حتّى تبدأ متاعبه.. يبدأ الأمر بفقدان القدرة على التفكير الجاد، أو إجراء الأحكام الموضوعية.. ثم تنهال الأحلام بشكل متلاحق، وبكثافة مخيفة.. يعانى منها وهو مفتوح العينين!.. الانقطاع التام للمؤثرات التى اعتاد العقل أن يستقبلها، يقود إلى حالة من الهلوسة الكاملة.

الهلوسة هنا لاتكون مجرد أوهام حسية بسيطة، مثل التماعات ضوء، أو أصوات أجراس، بل تكون رحلة هلوسة كاملة.. تتضمن أحداثًا متشابكة التفاصيل، مركبة، ومقنعة إلى آخر حد.

من هذه التجارب استطاع العلماء الاقتراب من تفسير آلية الهلوسة فى مصادرها المختلفة بالعقاقير مثل عقار الهلوسة (إل إس دى)، وغير ذلك من المواد الكيميائية أو الأعشاب والنباتات الخاصة.. أو بالطقوس الشائعة فى العقائد الآسيوية بصفة خاصة بين الدراويش والمتصوفين وممارسى اليوجا.

ما الذى يحدث؟

عرف العلماء أنه عندما يضعف أو يتوقف سيل المعلومات الواردة إلى حواسنا، تحظى كل جزئية صغيرة من المعلومات بأكبر اهتمام، ويتضخم حجمها مئات المرات، بحيث تملأ شاشة الوعى بأكملها، حاجبة أى شىء آخر. تمامًا مثل الفيلم الذى جرى التقاطه عن طريق المجهر. الهلوسة تعطى صورة مقربة جدًّا، ومكبّرة جدًّا، للواقع الذى نحتك به.

ثم هناك نقطة هامة للغاية، وهى أن المخ، نتيجة لضعف تيار الوارد من المحسوسات، يسعى إلى شغل الفراغ الناشئ، معتمدًا على كنوز ومقتنيات العقل الباطن، متمردًا على الرؤية التقليدية للواقع.

ولكى تتضح هذه الفكرة، علينا أن نؤكد على حقيقة أساسية، هى أننا دائمًا نحس فقط ما نتمكن من إدراكه.. وهذا يعنى أننا نجرى تعديلنا الخاص على الأحاسيس الواردة إلينا من محيط إدراكنا، وفقًا لطريقة خاصة تعارف عليها جنسنا أو مجتمعنا، أى وفقا لما يجب أن تكون عليه صورة الأشياء!

ولعلّ أكثر ما يوضح هذه الفكرة، تلك التجربة العملية القديمة، والتى جرى فيها تزويد الشخص بنظارة ذات عدسة خاصة، تقلب صورة الأشياء والأشخاص، ويطلب من ذلك الشخص عدم خلع هذه النظارة طوال زمن التجربة. بديهى أن الشخص سيبدأ برؤية جميع الأشياء مقلوبة، لكن بعد يوم أو اثنين، يحدث شىء غريب.. يقوم المخ بتصحيح الرؤية الواردة إليه.. أى يرى الشخص ما حوله فى شكله الطبيعى.. تمامًا كما لو أن مفعول العدسات قد توقف. ثم عندما يخلع الشخص تلك النظارة، عاد إلى رؤية الأشياء مقلوبة لبعض الوقت.

ما معنى ذلك؟.. معناه أن المخ البشرى لا يجعلنا نرى الأشياء كما هى، بل كما يجب أن تكون!

والإنسان كما قلنا، يستقبل فى كل لحظة من لحظات حياته فيضًا منهمرًا من الأحاسيس، وهو مرغم بحكم أجهزته الحسية على التقاطها جميعًا؛ لذا فهو يختار من بينها، قابلاً البعض ومهملاً البعض الآخر، بحيث ينتهى الأمر برؤية منتقاة بعناية فى جوهرها. وهى بالقطع رؤية محدودة لذلك الواقع.

هنا يبدأ تأثير عزل الشخص عن المحسوسات، سواء بالتجربة المعملية، أو بتعاطى العقاقير. عقار الهلوسة على سبيل المثال، يرفع القيود والمحظورات التقليدية للمخ، ويسمح للشخص برؤية الأشياء طازجة، وكأننا نراها لأول مرة فى حياتنا. هنا.. نتمكن من الاستماع إلى صوت الألوان، ورائحة الأنغام، وملمس المشاعر! هذا الأمر يتحقق لبعض الكائنات الأخرى بشكل طبيعى، كالنحل والخفافيش، وبعض الأسماك التى تعيش فى الأعماق الكبيرة للبحار.

ويضيف العلماء أن الأطفال يرون عادة الأشياء بنقاء خالص. وما نسميه اليوم هلوسة، يكون جانبًا طبيعيًا من الخبرات النفسية العادية للطفل. ولعل رسوم الأطفال تكون خير دليل على ذلك. وعندما يتقدم بنا العمر، تصبح رؤيتنا أكثر إعتامًا، بل تظلم تمامًا فى كثير من الأحيان؛ ذلك لأن الأشياء تفقد معناها الحقيقى الأصيل، وتقف عند حد القيمة الاجتماعية السلبية المصنوعة.

وديان رحلة الهلوسة:

وهناك ظاهرة أخرى ترتبط برحلة الهلوسة، توصل إليها الطبيب التشيكوسلوفاكى الأصل ستانيسلاف جروف. لقد اشتهر د. جروف باستخدامه عقار الهلوسة فى علاج الحالات المستعصية من الأمراض العصبية، فى بلده أولا، ثم فى الولايات المتحدة الأمريكية، عندما أصبح رئيسًا لخدمات العلاج النفسى بمركز البحوث النفسية بإحدى الولايات الأمريكية.

التجربة التى لفتت نظر د. جروف فى جميع التجارب التى أجراها، رغم الاختلافات الحضارية والجغرافية والعقائدية بين القارتين، هى ظهور الرموز الأسطورية والدينية خلال سلسلة رحلات الهلوسة التى كان المرضى يمرون بها، نتيجة لاستخدام عقار الهلوسة.

ويحدد جروف أربع حالات يمر بها المريض، تتصل كلها بعدد من الرموز الدينية والأسطورية:

- فى المرحلة الأولى لرحلة الهلوسة، يكشف المريض عن الرموز والمفردات الدينية التى ترتبط بطفولته، وخاصة ما يتصل منها بالصراعات النفسية التى عانى منها.
- فى المرحلة الثانية، يبدى المريض ضروبًا من المعاناة والعذاب، وهو - خلال ذلك - غالبًا ما يصف هذا من خلال إطار دينى، فيحكى عن زيارة الجحيم، أيًّا كان تصوره لذلك الجحيم، والمعاناة التى ترتبط كثيرًا بمعاناة الأنبياء والرسل، والآلام التى مارسوها.
- أما المرحلة الثالثة، فهى التى يبزغ فيها أمل الخلاص.. فيتكلم المريض - بسعادة - عن اجتيازه مرحلة التطهير والتكفير.
- أخيرًا، يصل المريض إلى المرحلة الختامية، حيث يصف مشاعر التحرر والانطلاق التى يمارسها.. وتتردد على لسانه تعبيرات الموت والبعث الجديد. ويؤكد المريض أن وطأة الخوف والشعور بالإثم قد رفعت عن كاهله، وأنّه أصبح سعيدًا، ومشحونًا

بالحب. يضيف د. جروف قائلاً إن المصطلحات والرموز الدينية ليست هى فقط ما يتردد على لسان المريض خلال رحلة الهلوسة، بل يظهر إلى جانب ذلك الكثير من الألفاظ والاصطلاحات والمعتقدات التى تبدو وثيقة الصلة بالفلسفة الهندوكية، ومحتويات كتاب (الفيدا)، وما يوازى مراحل (النرفانا) فى العقيدة البوذية، وتجربة (كندلانى) فى عقائد اليوجا. والمريض الذى لاتكون لديه أى فكرة عن تلك العقائد والممارسات ـ يصف المرحلة الأخيرة من رحلة الهلوسة، وما يصاحبها من قوة تندفع خلال نخاعه الشوكى إلى المخ.

- فى المرحلة الرابعة، يظهر أيضا فى حديث المريض، ما يسميه «ذكريات الحيوات السابقة»، حياته هو، وحياة الآخرين، على مدى التاريخ البشرى.. هذه الذكريات تبدو قادمة من الماضى السحيق، على بعد قرون طويلة، وبلاد بعيدة!

يستنتج جروف من هذا أن العقل الإنسانى أشبه بجبل ثلج عائم، لايظهر منه فوق الماء إلا أقل جوانبه، تمتزج فيه عناصر من اللاشعور الفردى والجماعى مع تراث ضخم من ذكريات الجنس البشرى.. وأن التحليل النفسى الفرويدى القديم والحديث، أو ما يطلق عليه (علم نفس الأعماق)، لا يتجاوز جهده مجرد خدش سطح ذلك الجبل العائم.

حديث د. جروف عن الحيوات السابقة، ينقلنا إلى مجموعة من الدراسات، تدور حول أفراد أثبتوا أنهم عاشوا أكثر من حياة سابقة!

أكثر من حياة واحدة!

فكرة أن يحيا الفرد أكثر من حياة سابقة من العقائد الأساسية فى العقيدة الهندوكية والبوذية.. لكن الوقائع التى جرت دراستها بالنسبة لهذه الظاهرة لايقتصر الوصول إليها على الهند أو غيرها من الدول الآسيوية، بل تأتى من جميع أنحاء العالم.

الواقعة التى نوردها قادمة من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد حققها بدقة كاملة دكتور راين أستاذ علوم الباراسيكولوجى، أو علم القدرات الخاصة للعقل البشرى، فى جامعة ديوك الأمريكية.

فجأة، وجدت الزوجة نفسها بلا زوج، بعد وفاة زوجها تاركًا لها طفلهما البالغ من العمر أربع سنوات، وإدارة الفندق الذى كان الراحل يملكه..

كان الطفل يمضى شطرًا كبيرًا من وقته فى بهو الفندق. وذات مساء، بعد وفاة الزوج بأسبوعين، لاحظت الزوجة أن الطفل يسوِّد صفحات دفتر وقع فى يده بخطوط عجيبة.. ما إن ينتهى من صفحة، حتى يقلبها ويسوِّد الصفحة التى بعدها، وهكذا حتّى انتهى من شغل ثلاث صفحات، قطعها من الدفتر، وطواها وتركها عند مكتب أمّه.

فى صباح اليوم التالى أخذت الزوجة فى استعراض تلك الخطوط المهوشة التى خطها الطفل، فلا تجد لها أى معنى، لكن أدهشها انتظامها وتسلسلها، الذى يوحى بأنها تعنى شيئًا ما. قال لها أحد كتبة الفندق إن هذه الخطوط أشبه بكتابة الاختزال. ولمّا كان، لا الموظف، ولا الأم، يعرفان شيئًا عن الاختزال، فقد استعانا بموظف فى الفندق درس الاختزال وتخصص فيه.

أكّد لهم هذا، أن ما كتبه الطفل يشبه فعلاً علامات الاختزال، وختم قوله مستدركًا: «لكن هذا الأسلوب فى الاختزال يبدو عتيقًا، لم يعد يستخدم بعد..». ومع ذلك، بدأ الموظف فى دراسة ما كتبه الطفل معتمدًا على مراجعه عن الاختزال.. وعندما راحت الأم تجمّع معانى الرموز، وجدت أنها تتضمن رسالة محددة!

بدأت الرسالة بنداء التحبب الخاص، الذى كان الزوج المتوفى يناديها به، ثم قالت الرسالة بوجود بعض الأوراق المالية الهامة، التى تتضمن بعض الإيصالات ووثائق التأمين، موجودة فى خزينة خاصة بأحد بنوك نيويورك.. ثبت للزوجة صدق ما جاء بالرسالة، واعتمدت على الأموال المكتشفة فى حل جميع المشاكل التى كانت تؤرقها.

أغرب ما فى الموضوع، أن دراسة الواقعة على يد دكتور راين أثبتت أن الوالد المتوفى، كان يعمل فى شبابه كاتب اختزال، وأنه كان يستخدم فى ذلك الوقت نفس الطريقة العتيقة، التى سوّد بها الطفل الصفحات الثلاث.

فى الثالثة، متزوّج وله أولاد!

واقعة أخرى، كان بطلها هذه المرّة هنديًا.

فى ١٤ مارس ١٩٤٤، ولد برامود شارما فى مدينة بساولى، فى مقاطعة بادون الهندية. وكان الابن الثانى للأستاذ لال شارما، المدرس بأحد المعاهد المتوسطة.

أثار الطفل دهشة أهله، عندما أعلن لوالديه وهو بعد فى الخامسة من عمره، أنه يرفض الاسم الذى أطلقاه عليه، وأنه يود لو أن الجميع ينادونه باسمه الحقيقى، الذى هو باراماناند!.. وكان ذلك بداية سلسلة من العجائب.

راح الطفل يتحدث عن مدينة تسمى مراد أباد، عاش فيها من قبل. وبالطبع، كان والدا الطفل قد سمعا العديد من الحكايات عن أطفال أو رجال تكلموا عن حيوات سابقة عاشوها، انسياقًا لعقيدة تناسخ الأرواح السائدة فى الهند.. لقد وصلتهما بلاشك قصة شانتى ديفى التى لاتزال تعيش وتعمل فى نيودلهى، والتى بذلت جهدا حتى تمنع نفسها من تذكر وقائع حياتها السابقة، فى مدينة موترا، بعد المشاكل التى أوقعتها فيها تلك الذكريات. وبالمناسبة هذه الواقعة محققة، تمت دراستها على أيدى علماء موثوق بهم.. ومع ذلك، فسماع قصة عن التناسخ شىء، وحدوث هذا لفردٍ من العائلة شىء آخر.

كان الطفل يتكلم باستمرار عن حياته فى مدينة مراد أباد، ويقارنها بحياته الراهنة، كابنٍ للأستاذ شارما.. ثم بدأ يلحُّ على

والده أن يأخذه إلى بيته السابق!. وقد وعد والده أن يدله على المتجر الذى كان يملكه فى حياته السابقة، والذى يضم من السلع ما لايتوافر فى مدينتهم الحالية (بساولى)..

رغم إلحاح الأقرباء بخوض تجربة السفر مع الطفل إلى حيث يقول لتبين حقيقة الأمر، فقد رفضا لفترة من الزمن، وكان رفضهما راجع إلى عقيدة شائعة بين الهنود، مفادها أن الشخص الذى تكون له حياة سابقة، لايعيش طويلاً.

بلغ الموقف ذروته، عندما عاد الطفل من الشارع ذات يوم متقمصًا شخصية التاجر باراماناند، قائلاً إنه حضر لتوِّه من مدينة ساهارانبور، وأضاف قائلاً: «لقد أصاب البلل معدتى.. وهذا هو السبب فى وفاتى، وهذا هو سر مجيئى إلى بساولى..»!

راح الطفل، بعد ذلك، يذكر جوانب من حياته السابقة. قال إنه كان يملك متجرًا فى مراد أباد، وإنه كان قد أنجب أربعة أولاد وبنتًا.. وإنه كان أحد أربعة إخوة.. ثم راح يصف زوجته السمينة التى ما زالت تعيش فى مراد أباد.

آخر الأمر، شعر الوالد بضرورة حسم هذه المسألة، وقرر اصطحاب ابنه إلى مراد أباد..

اجتاز الطفل كل الاختبارات التى خضع لها بنجاح غير متوقع.. فبالرغم من أنه لم يكن قد زار المدينة من قبل، قاد والده ومن أتوا معه إلى المحل الذى يديره إخوته. ثم قادهم إلى مصنع للمياه الغازية، كان المرحوم باراماناند يديره.. وأخذ يشرح بالتفصيل

كيف تعمل أجهزته وآلاته، وكيف جرى تركيبها داخل المصنع.. معلومات يستحيل إدراكها على طفل فى الخامسة من عمره.

وكان من الطبيعى أن يجرى لقاء بين الطفل وعائلته المزعومة.. وسط دهشة الجميع، تعرّف برامواداا على زوجة المرحوم باراماناند، وعلى ابنته وأولاده.. وراح يتحدّث معهم عن أشياء حميمة خاصة، لايمكن لغريب عن البيت أن يعرفها، كما نجح فى الإجابة عن جميع الأسئلة التى طرحت عليه.

عندما قام ليتجول فى البيت الذى عاش فيه المرحوم باراماناند، كان يشير إلى التغييرات التى طرأت على البيت بعد الوفاة.

عندما حل موعد انصراف الزوار، وعودتهم إلى بساولى، تعلق الطفل بأفراد عائلته القديمة، ممّا اضطر والده إلى انتزاعه انتزاعًا، الأمر الذى أسال دموع عائلة المرحوم. والآن، يعيش برامود شارما مع والديه فى بساولى، محاولاً أن ينسى الظروف العجيبة التى ربطته بأشخاص آخرين، يعيشون فى مدينة أخرى. من سعوا إلى تحقيق الواقعة، اكتشفوا أن الطفل كان صادقًا عندما أشار إلى بلل معدته وأمعائه، الذى قاد إلى وفاته.. فالمرحوم باراماناند كان قد دخل المستشفى شاكيًا من أوجاع جذعه، وأنه توفى بعد قليل من الحمام الساخن الذى أخذه.

لقد توفى باراماناند عندما بلغ ٣٩ سنة من عمره فى مدينة مراد أباد.. بالتحديد فى ٩ مايو ١٩٤٣. أما برامود شارما فقد ولد فى ١٥ مايو ١٩٤٤، وفى أغسطس ١٩٤٩، بدأ الطفل برامود يردد أقوالاً عن أحداث حياته السابقة!

من اللاتينية.. إلى التركية:

وقف ١٢ طبيبًا يحملقون فى الصبى باندهاش، وكانوا محقّين فى هذا.. كانوا قد انتهوا للتوّ من كتابة جمل طويلة معقدة على السبورة، واستطاع طفل صغير أن يقرأها، فى سلاسة ودون توقف أو خطأ.

كان ذلك العرض مشهودًا لعدة أسباب؛ أوّلها أنهم كتبوا الجمل باللغات اللاتينية والأسبانية والفرنسية والألمانية والتركية، وثانيها أن ذلك الصبى الذى قرأها لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره، وأن عمره العقلى لم يكن يتجاوز أربع سنوات!

ففى عام ١٩٥٧ أودع بوبى، وهذا هو اسم الصبى، فى دار كفتكى لرعاية الأطفال المتخلفين عقليًّا بمدينة ليفدون، بالقرب من لويزفيل. وفى ذلك الوقت كان بوبى فى السادسة من عمره. فحصه الأطباء بالدار، وأثبتوا تخلفه العقلى.. فقد كان يمشي ويتكلّم ويقرأ، لكنه لم يكن قادرًا على ارتداء ملابسه بنفسه.

فى وقت الواقعة التى نوردها، دخل بوبى ذات يوم يتقافز لاهيا إلى حجرة الطبيب المشرف على الدار ل.ف. بولاند. كانت شهادة تخرّج الطبيب معلّقة على الحائط خلف مكتبه، ومكتوبة باللغة اللاتينية. ألقى بوبى نظرة خاطفة على الشهادة، ثم بدأ يقرأ ما بها كلمة كلمة، بدون توقّف.. أثار هذا دهشة الطبيب الشديدة.. وعلى سبيل التجريب، كتب الطبيب على ورقة أمامه

عدة جمل بالألمانية، وعرضها على الطفل (المتخلف عقليًّا!)، فقرأها على الفور دون أيّ خطأ.

وعندما وصل إلى الدار أحد الأطباء الأتراك، وعرف بالقدرة العجيبة لذلك الطفل، كتب على السبورة جملة من ٢٦ كلمة باللغة التركية، فقرأها على التو.

ظهر من الدراسة التى تمت حول ذلك الطفل أنه جاء من عائلة فقيرة جدًّا بمدينة لويزفيل، وكان قد أصيب رأسه أثناء ولادة قيصرية أجريت للأم. ولم تصل تلك الدراسة إلى شيء أبعد من قدرة بوبى على القراءة التى لايصل إليها إلا الطالب الجامعى.. ثم حصوله على صفر فى الاختبارات الأخرى.

هذه هى أمى الأخرى!

يعيش الصغير إدوارد سابريرو، الذى لم يتجاوز الخامسة من عمره، مع عائلته فى إحدى ضواحى هافانا بكوبا.. وكان يثير اندهاش الوالدين وقلقهما عندما يتكلم كثيرًا عن «حياته الأخرى»، وعن «الأصدقاء الذين قابلهم، وعن الأشياء التى قام بها»، وخاصة عندما يتحدث عن «الليلة التى مات فيها!».

فى بداية الأمر، كانت ضحكات الوالدين تتعالى عندما راح إدوارد وهو فى الثالثة من عمره يحكى القصص عن شقيقين وهميين له اسمهما مرسيدس وجين، وعن أمٍّ جميلة ذات بشرة بيضاء وشعر أسود. كانت الأم تقول لأبيه «مدهش.. الصبى يبتكر حكايات من خياله..».

لكن مع مرور الأيام، تراكمت حكايات إدوارد عن حياته الأخرى. حكايات مترابطة ومتصلة، إلى حد أن طبيب الأسرة عندما كان في زيارة للبيت، واستمع إلى بعضها، ثار اهتمامه بالموضوع، وأجلس الصغير على ركبتيه، وأخذ يستجوبه فى رفق. قال إدوارد إن أمه الأخرى تعمل فى صناعة القبعات، وإنها كانت عادة ما توفده فى مهمات إلى المحال القريبة، وبصفة خاصة إلى مخزن الأدوية، الذى كانت أسعاره أقل من المخازن الأخرى.. وإنه كان يفضل الجولات الطويلة، حتى يمكنه أن يستمتع بركوب الدراجة، التى كانوا يضعونها فى غرفة بالدور الأرضى.

ومن بين ما حكاه إدوارد للطبيب، قصة مرضه الشديد، وكيف بكت أمه بحرقة، وخاصّة عندما وصلت سيارة الإسعاف لتنقله إلى المستشفى.. ثم فاجأ الطبيب بقوله إنه لم يصل إلى المستشفى، فقد مات داخل السيارة فى الطريق.

عند ذلك، قال إدوارد عن تلك اللحظات: «أذكر أننى كنت أنظر إلى الأضواء الخاطفة التى كانت تتراقص داخل السيارة، عاكسة أضواء الطريق.. بدأت هذه الأضواء تخفت تدريجيًّا. كنت متعبًا.. لكنّى لم أكن خائفًا أو حزينًا..».

وبكل الجدية، سأله الطبيب «وماذا كان اسمك؟..» أجاب الصبى سبانشو سيسو.. وكنا نعيش فى شارع كامباناريو فى مدينة نيوفيتاس..». وهكذا وجد الطبيب أول الخيط الذى سيساعده فى بحث هذه الحالة الغريبة.

لكن الدراسة الجادّة، بدأت عندما قامت الأسرة فى عطلة نهاية أسبوع برحلة إلى مدينة نيوفيتاس.

عند أحد المنحنيات، صادفوا مخزنا للأدوية، فصاح الصبى «انظروا.. هذا هو.. هذا هو المخزن الذى كنت أشترى منه..». وانفلت الصبى من بين والديه، مندفعا نحو المنحنى الآخر للطريق، حتى وصل إلى شارع (كامبانارو).. وبالتحديد إلى المنزل رقم ٦٩، وهو يصيح «هذا هو منزلى..».

قرع والد إدوارد الباب، لكن لم يكن أحد فى البيت. فعادت الأسرة إلى هافانا، بينما غرق الوالدان فى حيرة كبرى.. وأخيرًا، اتصل الوالد باتحاد الأبحاث الروحية، بهدف الاستشارة والسؤال. وعلى الفور، بدأت الدراسة المنظمة للحالة. بدأ الأمر بالاتصال بالسيدة التى تقطن المنزل رقم ٦٩ فى شارع كامباناريو. قالت: نعم!. لقد مات طفلها بانشو بالتحديد منذ أربع سنوات.. وعندما استمعت إلى جانب من القصة، وافقت على مساعدة الاتحاد فى بحثه.

وهكذا، عاد الصبى إدوارد مرّةً ثانية إلى نيوفيتاس، برفقة هيئة من الباحثين، يحملون ملفًا يضم جميع التفاصيل التى رواها إدوارد عن حياته السابقة.. كان الملف يضم كل التفاصيل التى حكاها عن عائلته، وعن المنطقة التى عاش فيها، وبصفة خاصة ذلك الخط الحديدى القائم خلف البيت.. ومكتب البريد الذى كان والده يعمل فيه، والدراجة الزرقاء التى كان يركبها.. ثم أسماء المدن والأماكن التى سافرت إليها

الأسرة فى رحلاتها، ووصف دقيق لما جرى فى تلك الرحلات.. وبيانات عن الكلب (تولو) الذى كان يملكه.. وعن النهاية الموسفة لذلك الكلب تحت عجلات الترام.

تضمّن الملف ٥٣ واقعة ومعلومة من الحياة اليومية لتلك الأسرة.. وكانت دهشة الباحثين بالغة، عندما أفادت السيدة بصدق تلك التفاصيل ودقتها.. وأن معظم الوقائع لم يكن بإمكان أحد أن يعرفها بهذه التفاصيل سوى ابنها بانشو.

وقد عمدت هيئة الباحثين إلى تنظيم اللقاء الأول بين إدوارد والسيدة سيسو (والدته السابقة) لكى يتم دون معرفة الصبى بترتيباته..

تقف السيدة سيسو وسط طريق مزدحم، بينما يسير إدوارد مع والديه فى نفس الطريق.. عندما تم ذلك، توقف الصبى عن السير عندما أبصر السيدة سيسو، وصاح بانفعال كبير: «هذه هى أمى الأخرى.. هناك عند فاترينة المحل..».

بكت السيدة كابريو، وجرت السيدة سيسو مبتعدة، غير قادرة على مواجهة هذه الظاهرة الغريبة.

وفى تجربة تالية، استطاع إدوارد أن يستدل على عدد من أقارب الطفل الراحل بانشو، وأصدقاء عائلته، من وسط زحام كبير.. وكان يخاطبهم واحدًا واحدًا بأسمائهم التى لم يكن يناديهم بها سوى الطفل الراحل بانشو!

حكاية جوانا وجاكلين:

بدأت القصة عندما كانت الشقيقتان جوانا (١١ سنة)، وجاكلين (٦ سنوات)، تتقافزان فى الممر المؤدّى إلى بيتهما فى الطريق العام، تقصدان الذهاب إلى الكنيسة لحضور قدّاس، ذات أحد من شهر مايو ١٩٥٧، فى مدينة ويتلى باى شمال إنجلترا، عندما اندفعت نحوهما سيارة مسرعة فقضت عليهما.

كانت الصدمة عنيفة على والدهما بائع اللبن جون بولوك، وزوجته فلورنس.. وبعد ذلك الحادث المؤلم بحوالى سنة ونصف، رزقت الزوجة بتوأمين، أطلقت عليهما: جيليان، وجنيفر. ومنذ ولادة الطفلتين، توقّف الزوجان عن الحديث عن الفاجعة التى أودت بالشقيقتين.. لكن التوأمين بدأتا تذكران التفاصيل الدقيقة عن الراحلتين!

كانت جينفر صورة طبق الأصل من أختها الراحلة جاكلين.. ولكن الأغرب من ذلك، أنه عند ولادة جينفر ظهر على جبينها ما يشبه أثر جرح طوله حوالى بوصة وربع. علما بأن الراحلة جاكلين كان لديها أثر جرح مطابق، نتيجة سقوطها على الأرض وهى فى الثالثة من عمرها. وتزايدت حيرة الوالدين من جراء الشبه الشديد بين الطفلتين، وبين الشقيقتين الراحلتين، سواء فى الجسد أو العادات.

ثم كانت الدهشة الأكبر، عندما بدأت الصغيرتان تذكران تفاصيل الحادث المفجع الذى حدث للراحلتين، باعتبار أن

ذلك حدث لهما هما فى وقت سابق!.. والأغرب، أن جيليان كانت تتحدّث عن وقائع متصلة بالحادث، لم يشر إليها أحد من قبل فى حضورهما.

حدث ذلك ذات يوم عندما وجدت السيدة فلورنس ابنتها جيليان تضع ذراعها حول كتف شقيقتها التوأم جينفر، وتصف لها بشكل دقيق وتفصيلى الجروح التى أصيبت بها الراحلة جاكلين نتيجة للصدمة.. وذات يوم، ذهبت الشقيقتان فى نزهة، وقد عثرت عليهما إحدى الجارات تبكيان فى نفس مكان الحادث الأليم.. رغم أن أحدًا لم يذكر أمامهما شيئًا عن مكان الحادث.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد.. فذات يوم سألت جينفر والدتها «ما الذى حدث للسيد (...)؟.. وهل ما زال يتعذّب من جراء ما فعله بسيارته؟..». عندما تبادلت معها الأم الحديث حول ما تعرفه، اكتشفت أنها تعرف اسم الرجل، ومكان إقامته، ونوع السيارة التى كان يقودها يوم الحادث!

يعلّق الوالد بولوك قائلاً: «القرائن تتراكم يومًا بعد يوم، لتؤكّد أن جاكلين وجوانا عادتا إلى الحياة الأرضية مرّة ثانية!..».

ويحكى الأب عن واقعة لها دلالاتها، فيقول «منذ أيام أخرجت من السندرة (مكان تخزين الأشياء غير كثيرة الاستعمال) علبة اللعب الخاصة بالراحلتين، والتى كنت قد ربطتها جيدًا وحفظتها هناك بعد الفاجعة، ولم آت على ذكرها

لأحد.. كنت قد فكرت فى أن أعطى للطفلتين بعض اللعب التى فى العلبة.. بمجرد أن فتحت العلبة، قفزت جيليان منقضة على لعبة على شكل عصارة غسل ملابس العرائس، تلعب بها الفتيات الصغيرات، فصاحت جيليان بانفعال شديد: انظر يا أبى.. هاهى عصارتى مرة ثانية!..».

ويعلق الأب مندهشًا «كانت تلك اللعبة تخص ابنتى الراحلة جوانا.. وكانت تعتز بها كثيرًا..».

ومن الغريب أن يعتقد السيد جون بولوك بمثل هذه الأمور، وهو الكاثوليكى التابع لكنيسة روما.. والمعروف أن أتباع ذلك المذهب ينكرون فكرة التناسخ. لكن منذ وفاة طفلتيه، عاش بولوك مستسلمًا لفكرة طاغية.. تقول إن الله سيعوّضه عن فقد طفلتيه، بتوأمين!

ورغم أن الزوجة رفضت فكرة التناسخ بإصرار فى أول الأمر، إلاّ أنها ضعفت أخيرًا وقالت تعبّر عن نفسها «لقد وجدت نفسى أقتنع بهذه المسألة جديًا.. فالتشابه الجسدى الذى يصل إلى حد التطابق.. ثم تلك الأفعال والتصرفات التى تبديها التوأمان، والأقوال التى تقولانها، كل هذا يجعلنى أقتنع أن فى الأمر شيئًا.. الطفلتان التوأمان تتعرّفان على أشخاص لم يحدث أن زاروا البيت منذ مولدهما.. كانتا تعرفان الأسماء قبل أن يتم التعارف.. بماذا أفسر هذه الأشياء؟!..».

الطفل اللبنانى عماد الأعور:

فـى عـام ١٩٦٢، الـتـقـى الأسـتـاذ إيـان سـتـيـفـنسـون بشـاب لبنانى، قال له إنه فى قريته اللبنانية (كورنايل) كان هناك عدة أطفال، يتذكرون حيوات أخرى عاشوها. وأعطى الأستاذ خطاب توصية لأخيه المقيم فى لبنان.. وبعد ذلك بسنتين، سنحت للأستاذ فرصة لزيارة لبنان، فقرر متابعة دراساته لموضوع التناسخ. لقد استطاع أن يحقق بنفسه فى الحالة العجيبة للطفل «عماد الأعور»، شقيق اللبنانى الذى كان قد التقى به، وسجّل نتائج بحثه فى كتاب نشر عام ١٩٦٦، بعنوان «٢٠ حالة توحى بالتناسخ».

ولد عماد فى كورنايل عام ١٩٥٨. وبمجرد أن استطاع التكلّم، راح يكرر أسماء «جميلة»، و«محمد»، رغم أن أحدًا من أسرته لا يحمل هذين الاسمين.. وأشار أيضا إلى (خريبا)، وهى قرية تبعد ٣٠ كيلومترًا عن كورنايل على الناحية الأخرى من الجبل.

ذات يوم، وكان فى الثانية من عمره، كان فى الطريق بصحبة جدته.. فجأة، اندفع نحو رجل غريب يسير فى الطريق، واحتضنه. سأله الرجل محتارًا «هل تعرفنى؟..». أجاب الصغير عماد «نعم.. لقد كنت جارى..». لقد تبيّن بعد ذلك أن الرجل من قرية خريبا!

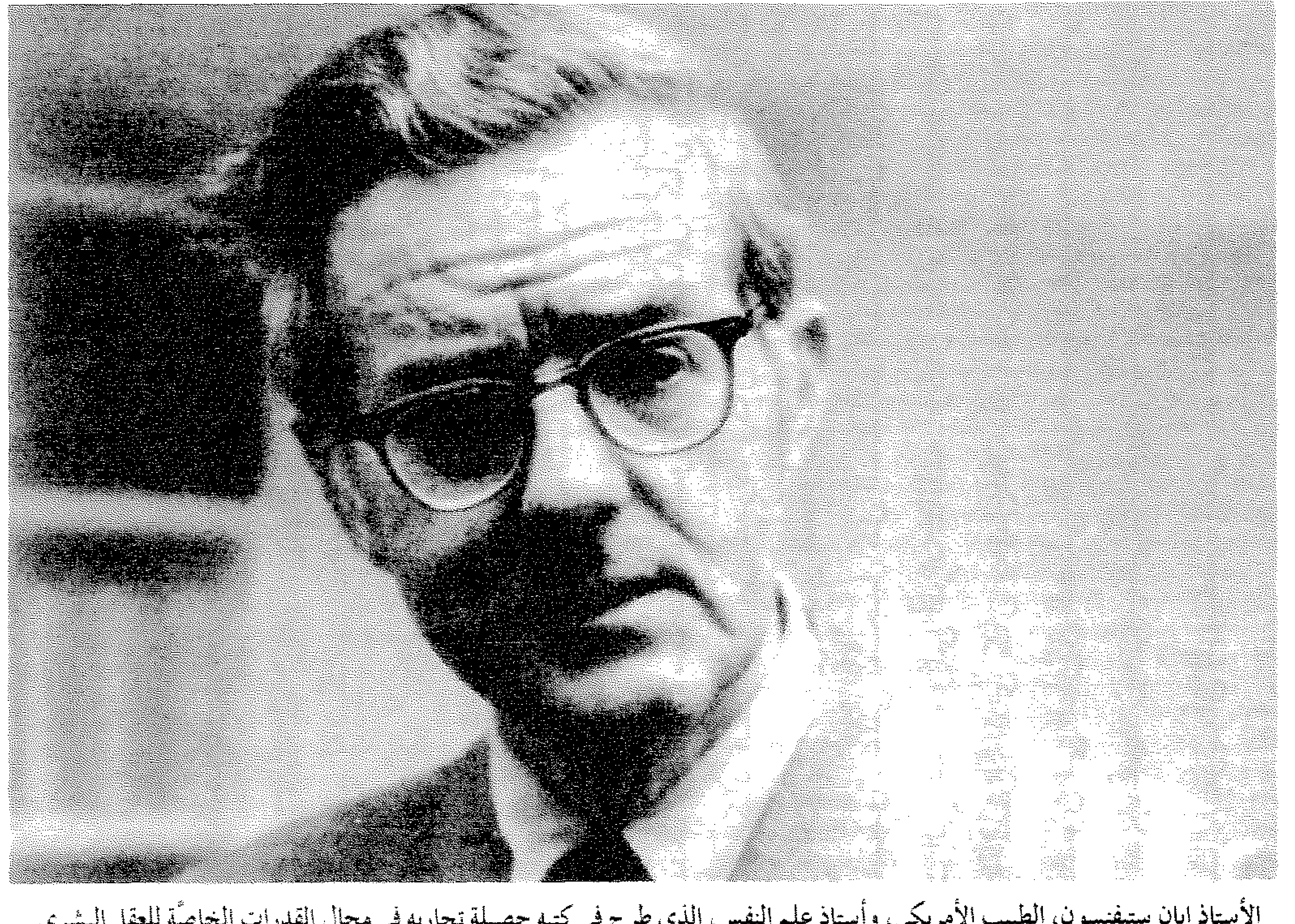
يقول الأستاذ ستيفنسون فى كتابه، إنه برغم أن عائلة الأعور تنتمى إلى مذهب إسلامى يؤمن بعقيدة التناسخ، فإن والد عماد لم يكن يحب افتراض أن لابنه صلة بالتناسخ.. بل

لقد غضب عندما تحدَث عماد عن حياته السابقة فى قرية خريبا، وعن كونه من عائلة أبو حمزة.. لذا تعلّم الطفل أن يتجنّب ذلك الحديث فى حضور والده، لكنه واصل استعراض ذكرياته أمام والدته وجدّيه.

لقد تكلّم كثيرًا عن جمال جميلة. وذكر حادثًا فقد فيه أحد الرجال ساقيه تحت عجلات إحدى الشاحنات، وتوفى فى أعقاب ذلك. لقد كانت ذكرياته عن ذلك الحادث حيّة للغاية، غير أنه لم يكن الرجل الذى مات.. وكانت هذه الجزئية محيَرة، لأنه مع تقدّم عماد فى العمر، كان يكرر سعادته بكونه قادرًا على المشى!.. وكذلك راح يلحّ على أسرته أن تأخذه إلى خريبا، غير أن والده رفض ذلك.

عندما وصل الأستاذ ستيفنسون إلى كوردنايل، كان عماد قد أكمل بالكاد الخامسة من عمره، وكان يواصل وصف ذكريات حياته السابقة، على مدى السنوات الثلاث السابقة.. وقد حرص ستيفنسون على تسجيل كل الحقائق التى توصّل إليها.. لقد تحدّث إلى عماد، وإلى أفراد عائلته.. وكان عماد قد أعطاه وصفًا دقيقًا للمنزل الذى كان يعيش فيه فى خريبا.. ومن هنا انطلق ستيفنسون فى الطريق الجبلى الوعر، ليتحقق من المعلومات التى كان قد جمعها.

هناك، عرف أن (أبو حمزة) هو اسم عائلة محلية، وأنّه فى عام ١٩٤٣، مرّت شاحنة على ساقى (سيّد أبو حمزة) فقطعتهما، وأنّه مات بعد أن أجريت له جراحة عاجلة!



الأستاذ إيان ستيفنسون، الطبيب الأمريكي، وأستاذ علم النفس، الذى طرح فى كتبه حصيلة تجاربه فى مجال القدرات الخاصّة للعقل البشرى.

ورغم أن بيت (سيد أبو حمزة) الذى زاره، لم يكن يطابق الوصف الذى كان عماد يكرره، فقد واصل ستيفنسون بحثه فاكتشف أن سيد كان له ابن عم وصديق حميم يدعى إبراهيم أبو حمزة. وكان إبراهيم ذلك قد أثار فضيحة فى القرية بالعيش علانية مع شابة لم يتزوجها، وكان اسم تلك الشابة الجميلة هو «جميلة»!. غير أن عمر سعادته كان قصيرا، فقد توفى عام ١٩٤٩، وكان عمره ٢٥ سنة، بمرض السل.. لقد أمضى الشهور الستة الأخيرة من حياته طريح الفراش، غير قادر على المشى، مما سبب له تعاسة دائمة. وكان سيد مثل ابن عمه إبراهيم سائق شاحنة، ولكنه لم يستطع أن يتجاوز حزنه بعد وفاة سيد.. وكان محمود، هو اسم عم إبراهيم ووالد سيد.

فى زيارته الأولى لقرية خريبا، تأكد ستيفنسون من أن البيت الذى عاش فيه إبراهيم هو الذى يطابق الأوصاف التى قال بها عماد، وأن الجار الذى يسكن بالبيت المجاور هو الرجل الذى اندفع إليه عماد واحتضنه فى قرية كورنايل منذ ثلاث سنوات.

لقد خرج ستيفنسون من تلك الزيارة الأولى، أنه من بين ٤٧ حقيقة قالها عماد عن حياته السابقة، أمكن التثبت من ٤٤ حقيقة، بالنسبة لحياة (إبراهيم أبو حمزة).

عندما عاد ستيفنسون إلى كورنايل، حاول إقناع والد عماد أن يتركه يصطحب الصبى معه فى زيارته التالية لقرية خريبا. وافق الأب وسافر معهما، وخلال السفر تبرع عماد بسبعة توجيهات صحيحة للطريق الواجب سلوكه، رغم أنه لم يسافر

إلى خريبا من قبل. كان بيت إبراهيم مغلقا لعدة سنوات، وقد جرى فتحه خصيصًا بمناسبة هذه الزيارة، واستطاع ستيفنسون بذلك مراجعة بعض الملاحظات التى كان عماد قد ذكرها عن أثاث البيت.

لقد قال الصبى عماد إنه فى حياته السابقة كإبراهيم، كان يمتلك مسدسين، أحدهما بماسورة مزدوجة. وقد ثبت صحَّة هذا.. وعندما دخلا إلى البيت اندفع عماد مباشرة إلى المكان الذى كان إبراهيم يخبئ فيه المسدسين!

لم يكن هناك ما يمنع من القول بأنّ عقل الصبى عماد الأعور، لسبب ما، يحتفظ بذكريات وانطباعات تتفق مع خبرات فى حياة الراحل (إبراهيم أبو حمزة).. بصرف النظر عمًّا إذا كانت هناك حالة تناسخ فى حياة الصبى عماد.

جاسبير يتحوّل إلى برهمى!

قبول فكرة التناسخ يعتبر من المسائل الأساسية فى الديانات الهندوكية والبوذية.. لذا لايبدو مستغربا أن تكثر الحالات المسجلة فى الهند. وقد زار الأستاذ إيان ستيفنسون قرية راسلبور، فى منطقة أوتار براديش، بالهند، مرّة عام ١٩٦١، ومرّة ثانية ١٩٦٤، بغرض مناقشة أهل القرية، وجمع الحقائق، حول حالة تناسخ وصل إليه علمها.

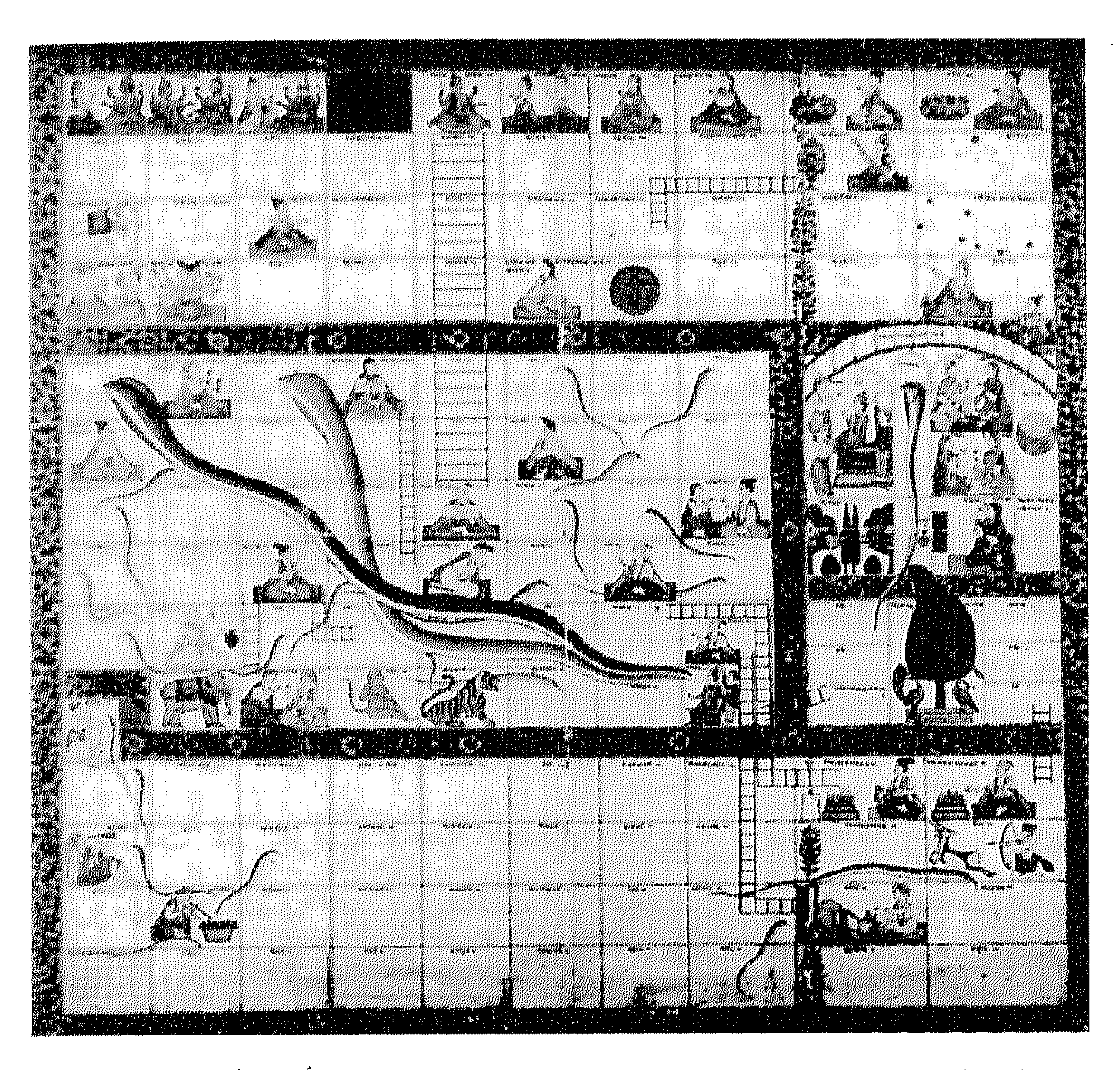
تقول الرواية، إنه فى عام ١٩٥٤، مرض أحد أطفال القرية، جاسبير جات، بالحصبة عندما كان عمره ثلاث سنوات ونصف، وكان يبدو أنه

يلفظ أنفاسه الأخيرة. بدأت ترتيبات الدفن، غير أن الطفل بدأت تظهر عليه علامات تحسُّن ضعيفة.. وبعد مرور عدة أسابيع كان قد شفى تمامًا، وعندما أصبح قادرًا على التعبير عن نفسه بوضوح، تصرف جاسبير وتكل بطريقة أزعجت أهله وأحزنتهم..

لقد أصرّ على أن اسمه هو صوبحا رام وأنه كان ابنًا لرجل برهمى شانكار ليل تياجى، من قرية «فيهيدى»، التى تبعد حوالى ٢٠ ميلا من راسلبور. لقد أصبح حديثه يتضمن كلمات معقدة مركبة لا يعرفها سوى البراهمة، كما رفض أن يأكل من طعام أسرته!.. ومن حسن حظه أن سمعت بأمره امرأة برهمية تعيش فى القرية، وتطوعت بطهى طعام برهمى خصيصًا له.

تواصلت هذه الحالة لعدة سنوات.. وكانت الاتصالات بين قريتى راسلبور وفيهيدى غير قائمة عمليًا.. فى عام ١٩٥٧ قدمت امرأة من قرية فيهيدى لزيارة قرية راسلبور، التى كانت مسقط رأسها.. لم تكن قد جاءت إلى راسلبور منذ عام ١٩٥٢، عندما كان عمر جاسبير لايتجاوز ١٨ شهرًا.. لكنه تعرف عليها!

كانت قد عرفت قصة الطفل الغريب وادعاءاته من آخرين، فروتها لعائلتها عندما عادت إلى فيهيدى. وعندما سمعت عائلة المرحوم صوبحا رام تياجى بهذا الموضوع، عجلوا بزيارة راسلبور، لمقابلة الطفل جاسبير. حياهم الطفل، كلاً باسمه، مظهرًا أنه يعرف علاقة كل واحد بالمرحوم، كما يعرف الكثير عن تفاصيل حياتهم فى قرية فيهيدى.. كذلك أعطى وصفًا دقيقًا للطريقة التى مات بها المرحوم، عندما سقط من إحدى العربات فى موكب زفاف.



لوحة لعب هندية قديمة، تشبه لوحة لعبة السلم والثعبان المعاصرة، غير أنها تحكى قصة الجنة والجحيم، والمفهوم الهندى للتناسخ.

بعد هذه الزيارة، سمحت العائلة لجاسبير بزيارة فيهيدى عدّة مرّات، وأن يقيم مع عائلة تياجى.

لم تكن المعطيات لدى الأستاذ ستيفنسون فى هذه الحالة بنفس غزارتها فى حالة عماد الأعور، لكنه اكتشف تطابقًا بين ما قاله الطفل قبل زيارته الأولى لقرية فيهيدى عن تفاصيل حياته، مع واقع القرية وأهلها. الشيء الوحيد الذى لم يتم التحقق منه، كان أكثر الحقائق غرابة. فقد قال جاسبير إن سقطة صوبحا رام المميتة كان سببها السم الذى دسّ له فى طعامه، بل إن جاسبير قام بتحديد اسم القاتل!. لم يستطع الأستاذ ستيفنسون أن يتحقق من ذلك، لكنه اكتشف أن عائلة تياجى كانت تشك فى أنه مات مقتولاً..

كذلك، توصّل ستيفنسون إلى حقيقة أن وقت وفاة صوبحا رام، كان نفس وقت إصابة جاسبير بمرض الحصبة، الذى أوشك أن يقضى عليه هو أيضًا.

الموت العنيف.. والتناسخ!

فى عدد له دلالته من حالات التناسخ الظاهر، انتهت الحياة السابقة التى تتلبس الشخص نهاية عنيفة ومبكرة. ويقول الذين يعتقدون فى هذه الظاهرة إن هذا لايعنى أن الذين يصادفون ميتة عنيفة قاسية هم فقط الذين يدخلون فى وقائع التناسخ.. لكن يميلون إلى أن الذين يموتون ميتة طبيعية، نتيجة لكبر السن مثلا، لاينقلون ذكريات متميزة من حياة لأخرى. الموت

العنيف، يبدو أنه يمكن أن يترك انطباعات، ليس فقط على الروح، ولكن على الجسد المادى، فى بعض الأحيان. الكثير من الباحثين لاحظوا علامات يولد بها الوليد تشبه تلك الجروح القاتلة فى الحياة السابقة.

يحكى جاى بلايفير مثل هذه الحالة فى كتابه «البقرة الطائرة»، وقد استقاها من سجلات المعهد البرازيلى للأبحاث النفسية الجسدية الحيوية.

ولدت السيدة تينا في مدينة (أراراكوارا)، التى تبعد ١٧٥ ميلاً عن (ساوباولو)، ومازالت تعمل فيها كمحامية فى إحدى شركات الخدمة العامة. وتعتبر تينا حالة خاصة من بين حالات الاستنساخ، فهى كبالغة مازالت تتذكر بوضوح وقائع من حياتها السابقة. بعكس الوضع السائد والذى يفيد انحسار تلك الذكريات مع التقدم فى العمر.

ماذا تتذكّر تينا؟.. تتذكر أنها عاشت فى فرنسا، وأن اسمها كان أليكس أمادودو بارالوف. أما والدها فقد كان اسمه «جان باريس»، ووالدتها «أنجالا». وهى تعتقد أنها كانت تعيش فى (فيشى)، وتتذكر رحلات التسوق مع والدتها، المرأة الطويلة الشقراء الأنيقة. وتذكر أنه عندما بلغت الثانية والنصف من عمرها تم اصطحابها إلى (الهافر)، ورؤية المراكب المربوطة فى الرصيف.

كانت قد تعلمت الفرنسية بسهولة ملفتة، كما كانت تتمتع بألفة مع كل ما هو فرنسي.. وكانت تكره كل ما هو ألماني، فهي تؤمن بأنها أصيبت برصاصة قاتلة لجندي ألماني، خلال الحرب العالمية الثانية.. حاليًا يوجد أثران أمام وخلف الجانب الأيسر من جسمها منذ ولادتها.. وهما يتطابقان مع الأثر الذي كان من الممكن أن تتركه الرصاصة التي اخترقت جسدها.

رغم أن فكرة التناسخ لاتحظى بقبول ما في المجتمع الغربي المعاصر، فإن معظم الناس يمرون بخبرة غريبة، يحاول البعض تفسيرها بالتناسخ قسرًا!. هذه الخبرة يطلق عليها الفرنسيون تعبير (ديجا فو)، الذي يعني (شوهد من قبل).. وهو ما يطلق عليه الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، في أحد كتبه، تعبير (التعرف الكاذب).

التعرُّف الكاذب

يطلق «هنرى برجسون» تعبير التعرُّف الكاذب على ظاهرة سنجد الكثير من حولنا وقد مروا بهذه التجربة، بشكل أو بآخر.

هذا التعبير يشير إلى إحساس الفرد فى لحظة ما أنه قد عاش هذه اللحظة من قبل، بكل تفاصيلها.. وأنه سمع الحوار الذى يدور، وبإمكانه أن يحدد الجملة التالية لأحد المتكلمين.. ثم يقول لنفسه، وسيدخل فلان، فيدخل فلان.. وهكذا. ولا يعتبر برجسون مثل هذه الخبرة ظاهرة خاصة، ولايرى صلة بينها وبين فكرة التناسخ، أو القدرات العقلية الخاصة، التى يدرسها علماء الباراسيكلوجى.

ويقول برجسون إن هذه الخبرة هى انعكاس لخلل طفيف فى عمل العقل البشرى. وهو يشرح ذلك قائلاً: إن أى حدث يصادفه الإنسان خلال حياته اليومية، تلتقطه حواس الإنسان، وترسل منه نسختين إلى المخ.. واحدة من أجل التصرف ومواجهة الحدث بما يناسبه، أيًا كانت طبيعة وأهمية ذلك الحدث.. أما النسخة الثانية، فيجرى إرسالها إلى الذاكرة للاحتفاظ بها، ووضعها فى الترتيب الخاص بها، وفقًا لنوع النظام الذى ارتضته تلك الذاكرة لنفسها.

المفروض أن تصل النسختان فى نفس الوقت إلى المخ.. لكن، يحدث فى بعض الأحيان نوع من الخلل فى توقيت

وصول الرسالة، فتصل إلى جهة الذاكرة قبل جهة التصرف.. خلل قد يصل إلى جزء من ألف جزء من الثانية.. لكن النتيجة تكون كالتالى: أن الرسائل تصل إلى الذاكرة أولاً، وعندما يدرك العقل ما يجرى، يكتشف فى نفس الوقت أن لديه صورة سابقة لما يجرى.

ويقول نيلز جاكوبسون، عالم النفس السويدى، إنه بالرغم من انطباق ذلك التحليل على العديد من حالات «الرؤية المسبقة»، لكنه لا يفسر الحالات إلى امتلاك الفرد معارف تفصيلية، لايمكن التوصل إليها بالأساليب العادية.. مثل أن يزور شخص مكانًا لأول مرة، ويستطيع أن يصف تفاصيل ذلك المكان قبل أن يصل إليه ويراه.

وخروج من الجسد.. أيضًا!

أورد عالم النفس السويدى نيلز جاكبسون الحالة التالية، فى كتابه «حياة بلا موت» الذى نشر فى إنجلترا عام ١٩٧٤.

لقد اكتشف أن أحد مرضاه، دخل أكثر من مرة فى حياته كبالغ، فى نوع من الرؤى، يتصور نفسه فيها جنديًا فى الحرب العالمية الأولى، وأنه لقى حتفه أثناء تلك الحرب.. وكان مروره بتلك الخبرة ينتهى به إلى حالة من الاكتئاب العميق، والخمول، تبدأ بالخروج من جسده!

يقول المريض إنه يشعر بنفسه وقد ترك جسده، ينزلق فى «ضباب أبيض كثيف، يبدو كلُّ شىء فيه غارقًا فى صمت

مطبق،ثم يرى نفسه فى محطة قطار مزدحمة بعدد غفير من الجنود، فى جو تسوده المشاعر السلبية، مع تجمع الأهل لتوديع أقاربهم المحمولين إلى الجبهة. عندما أصبح داخل القطار، أطلّ من النافذة يصافح شابة جميلة بحرارة، نظرت إلى عينيه طويلا بتركين، وهمست بشكل متكرر «مارسيل، يا حبيبى مارسيل..»، وكان أن استجاب هو بقوله «كاترين، يا حبيبتى كاترين..». ثم تحرك القطار، ثم شعر باندفاعه فى رحلة اهتزاز طويلة عبر الظلام.

أخيرًا، وصل القطار إلى غايته، التى عرف أنها (أرّاس). وضمن جموع من الجند الآخرين اندفع تحت المطر، يخوض الوحل إلى المعسكر القريب من خط النار.

مر الوقت ـ لم يكن باستطاعته أن يقدر طول الوقت ـ وحل الوقت الذى كان فيه على فرقته أن تحاول أن تنقض على قرية على تل قريب، وتستولى عليها. أخذ طريقه هو ومن معه من جند، عبر واد ضيق شديد الانحدار، يمر جدول ماء أسفله.. وكان هو السبيل المحمى الوحيد للوصول إلى القرية. أخيرًا، وصلوا إلى النقطة التى سيبدأ من عندها الهجوم، وعندما أطلقت الإشارة، انطلق فى اتجاه القرية التى ظهرت معالمها واضحة أمامه..

فجأة.. أوقفته ضربة قوية، وألم حارق فى الصدر.. ثم أظلم كل شىء.

مر مريض دكتور جاكبسون بهذه الرؤية عدة مرات قبل عام ١٩٦٦. حتى وجد نفسه خلال رحلة مع عائلته قريبًا من (أرَّاس) فقرر أن ينتهز هذه الفرصة ليرى ما إذا كان لتلك الرؤية أى أساس من الحقيقة.. قاد سيارته حول القرية وداخلها، لكنه وجد كل شيء غريبًا عنه.. حتى وصل إلى تقاطع، وشاهد لافتة مكتوبًا عليها (بابوم) فتصاعدت دقات قلبه. على بعد ثلاثة أميال من ذلك المكان، بدأ يتعرف على المعالم من حوله، وعندما وصل إلى قرية صغيرة عادت إليه ذكريات المكان بشكل قوى.. أصبح قادرًا على أن يقود السيارة بعائلته فى متاهة من الطرق الضيقة، حتى وصل إلى حقل.. وهناك أشار إلى الوادى الملتوى، ترتفع منه السفوح التى تقود إلى قرية خلفه، إلى المكان الذى ـ وفقًا لرؤيته ـ مات فيه!. وعندما وصل إلى القرية أبدى استياءه عندما افتقد أىَّ شيء فيها مألوف بالنسبة إليه. لكن عندما تبادل ابنه الحديث مع رجل مسن من أبناء القرية، عرف أن القرية قد تهدمت نهائيًّا نتيجة الحرب الشرسة بين القوات الفرنسية والألمانية، فى نوفمبر ١٩١٤، وأن الكنيسة وبيوت القرية أعيد بناؤها من جديد فى ثلاثينيات القرن العشرين.

تكمن أهمية هذه الواقعة، فى أن صاحبها أخبر الآخرين ـ مسبقًا ـ بالكثير من التفاصيل، قبل أن يجرى التحقق من صدقها، وأيضًا لأن الآخرين قد حضروا عملية التحقق من تلك التفاصيل.. وهذا يخرج حالتنا هذه من نطاق «التعرف الكاذب».

هل هو اتصال بين العقول؟

يصف الأستاذ «إيان ستيفنسون» الحالات التى أوردناها، وما شابهها من وقائع، بقوله إنها «توحى بالتناسخ».. ولكن يبقى السؤال: هل تكون هناك تفسيرات أخرى؟

أوَّل ما يتبادر إلى الذهن، هو احتمال التزييف أو التوهم. لكن هذا الاستخلاص تقف فى سبيله عمليات البحث والتحقق العلمى الدقيقة، التى قامت بها جهات علمية، على أيدى مختصين، لهم سمعتهم التى لا تطالها الشبهات.. ولايبقى سوى التفسير الآخر لهذه الوقائع، باعتبارها تتضمن ذكريات حيوات سابقة تم الوصول إليها عن طريق القدرات الخاصة للعقل البشرى.

العلم الحديث الذى يتخصص فى القدرات الخاصة للعقل البشرى (الباراسيكلوجى)، قد توصل إلى حقيقة الكثير من هذه القدرات.. وأن ظواهر التخاطر، والجلاء البصرى، والتعرف السابق، يمكن أن تتحقق، وبصفة خاصة فى حالات الإدراك المتسامى.

من الناحية النظرية، ثبت أنه من الممكن للمعلومات التى فى عقل أى إنسان حى، أن يصل إليها إنسان آخر يتمتَّع بقدرات عقلية خاصة.. كما ثبت أن الأحداث الماضية أو الحاضرة أو القادمة يمكن للأشخاص المتمتعين بقدرة الجلاء البصرى الوصول إليها. لكن الاشتراطات والظروف التى تسهل عادة استخدام القدرات العقلية الخاصة عند البشر، كوجود علاقات أو روابط بين المرسل والمستقبل، أو أن تجرى الممارسة وسط حالة من التأزم، لا نجدها متوفرة فى هذه الظواهر التى نطرحها هنا.

كذلك لايمكن الاعتماد على القدرات العقلية الخاصة أو المتفردة عند الإنسان، لتفسير العلامات الموجودة فى الطفل عند الولادة، والتي، تتطابق على مكان الجروح عند مصدر ظاهرة التناسخ، فى حياته السابقة.. كما لا يمكن الاعتماد عليها فى تفسير الجهد الابتكارى المتميز فى الروايات غير العادية للكاتبة جين جرانت، على سبيل المثال.

سكيتا.. ابنة فرعون!

ولدت جين جرانت فى إنجلترا عام ١٩٠٧، وفى طفولتها كانت مدركة أنها تمتلك العديد من ذكريات أكثر من حياة سابقة، فى قرون مختلفة، وبلاد مختلفة!

بديهىٌ، أن التصريح بمثل هذ القول قد خلق حالة من الحيرة والضيق عند العائلة.. لكنها لم تصل إلى قدرتها الغريبة هذه إلاً بعد بلوغها. وقد حدث هذا عندما زارت مصر لأول مرة.. كانت تلك الزيارة سبيلاً لذكريات عميقة وتفصيلية لأحداث جرت لها على هذه الأرض، فى أزمان سابقة!

فى ذلك الوقت، اكتفت بتسجيل خواطرها المتفرقة، حول ذكريات حياتها السابقة.. لكن بمعاونة زوجها الذى كان طبيبًا نفسيًا، وضعت تلك الخواطر المتفرقة فى رواية، نشرت عام ١٩٣٧ تحت عنوان «فرعون المجنّح». أثناء كتابة الرواية، لم تلجأ إلى أى أبحاث أو دراسات تاريخية، وهى تسجل قصة حياة «سكيتا»، ابنة أحد الفراعنة الذى عاش منذ ٣٠٠٠ سنة.



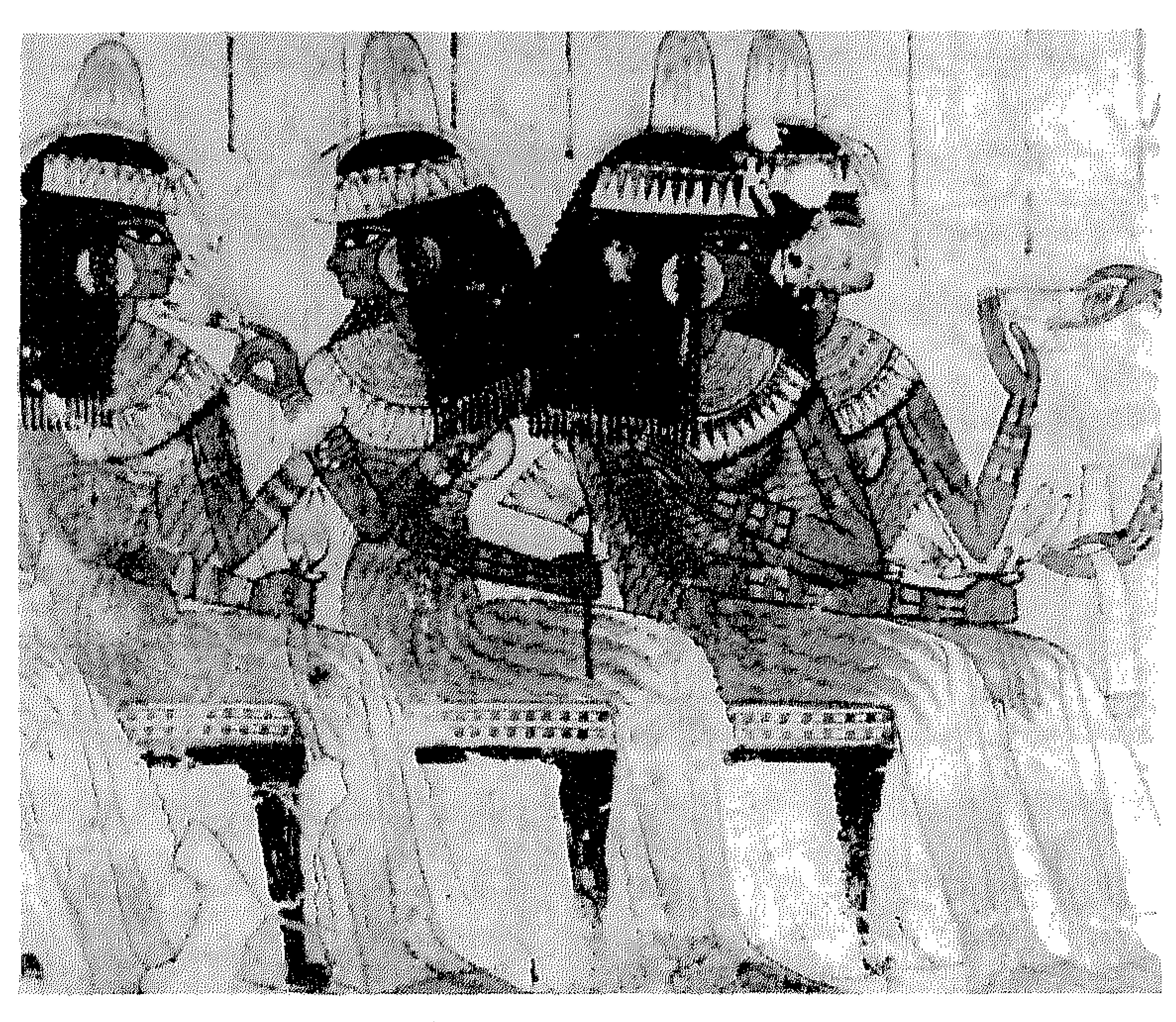
الروائية الإنجليزية جين جرانت، والتى وصفت فى كتاب لها تفاصيل أكثر من حياة عاشتها، من بينها حياة «سكيتا» الفتاة المصرية القديمة.

عندما قام الباحثون والنقاد وعلماء التاريخ الفرعونى بتقييم الرواية، أجمعوا بلا استثناء على دقة التفاصيل التاريخية، وإن ظلوا على شكوكهم ـ المفهومة ـ حول ادعاء «جين جرانت» أنها وصلت إلى تلك الحقائق التاريخية، ليس عن طريق المراجع، ولكن لأنها كانت الأميرة سكيتا فى حياة سابقة!

وتبع ذلك العديد من الكتب، وفى كتاب سيرتها الذاتية (ذكريات بعيدة)، كتبت تقول «خلال السنوات العشرين الماضية، صدر لى سبعة كتب، نشرت باعتبارها روايات تاريخية، لكنها بالنسبة لى كانت سيرًا ذاتية، عن حيوات سابقة عرفتها..».

يقول الباحث فى الباراسيكولوجى ستيوارت هول رويد «قد يبدو هذا التصريح من المؤلفة غريبًا، لكننا نطرح تفسيرًا ضعيفًا إذا ما حاولنا تطبيق فكرة إرجاع ذلك إلى القدرات العقلية الخاصة أو الخارقة (الحاسة السادسة مثلا)، بقولنا إن «جين جرانت» حصلت على المعلومات الواردة فى رواياتها عن طريق الاتصال التخاطرى، ملتقطة معارفها من عقول علماء التاريخ المصرى القديم، ممن لم تتعرف عليهم..».

وهو يستطرد قائلاً إنه عندما نمتحن الوقائع المتصلة بالموضوع، سيبدو لنا أن التفسير القديم الشائع حول التناسخ هو الذى يقدم لنا الإجابة المعقولة للموضوع الذى نطرحه. لقد آمن الهندوس والبوذيون، وغيرهم، أن حياة الإنسان هى مجرد مرحلة من مراحل نمو الروح، التى يجب أن تعود إلى الأرض عدة مرات، فى أجسام مختلفة، قبل أن تحقق كمالها.



الرسم الجدارى الفرعونى الذى شاهدته جين جرانت فى مصر، وأعاد إليها ذكريات حياتها السابقة فى مصر القديمة، وسجلتها فى كتاب «الفرعون المجنّح».

وهو يشرح ذلك قائلاً إن عقيدتهم تفيد أن تصرفات الفرد تولد طاقة يطلقون عليها (كارما)، وهى التى تحدد مصيره فى حياته التالية. وإذا ما انتقلت الروح إلى الحياة التالية، حاملة معها تراكمًا من الكارما السيئة، نتيجة للأفعال الخاطئة فى الحياة السابقة، عليها أن تمضى حياةً كاملة جديدة تسعى فيها إلى التخلص من ذلك الميراث، وتواصل رحلة نموها وترقيتها.

وهم يستندون إلى هذه الفكرة فى تفسير السر فى عدم عدالة الحياة الأرضية، بعدم مساواتها بين حظوظ الأفراد منذ البداية.. إنها تفسر الفروق فى الشخصية والقدرات والمواهب، تخلف بعض الأطفال وعبقرية الآخرين ومواهبهم الملفتة.

وهم يرون أن هذه العقيدة تساعد الإنسان على أن يبذل مجهودًا من أجل أن يكون صالحًا وخيِّرًا، وأن يحرص على ترقية نفسه، ليحتل موقعًا أفضل فى حياته التالية.

لكن، ما علاقة هذا بما يطلق عليه «الاستحواذ»، وتعدد الكيانات فى الشخص الواحد؟

الاستحواذ.. وتعدُّد الشخصية

قبل أن نتكلم عن الجانب النظرى فى ظواهر الاستحواذ والتقمص وتعدد الشخصية، قد يكون من المفيد أن نطرح بعض الوقائع، التى تجسد أبعاد هذه الظواهر العجيبة.

فى عام ١٩٤٤، رفعت أرملة الكاتب البرازيلى الشهير «آمبرتو دى كطامبوس» قضية فى المحاكم تطالب بنصيبها فى خمسة كتب كتبها زوجها بعد وفاته!

«تشيكو إكسافيار» الوسيط المتدرب على تسجيل أفكار الكتَّاب المتوفين، لم ينكر أن الكاتب الكبير الراحل قد أملى عليه مادة تلك الكتب.. بل لقد عرض أن يدخل نفسه فى حالة الخلوص والتأمل، وهو جالس فى قاعة المحكمة؛ ليدون فقرات غير مسبوقة من كتابات الكاتب الكبير الراحل. المهم أن كبار النقاد صرحوا بأن الكتابات الجديدة تحمل نفس أسلوب وطابع وأفكار الكاتب الراحل.

وفى آخر الأمر، حكم القاضى برفض الدعوى باعتبار أن الكاتب المتوفى ليست له أية حقوق بالنسبة للقوانين التى تأخذ بها المحكمة.

حالة تشيكو إكسافيار هى واحدة من حالات كثيرة تفيد بأن الأموات يستحوذون فى بعض الأحيان على الأحياء، ويستخدمونهم كأدوات للاتصال أو للتصرف فى أمور العالم الذى فارقوه. ورغم

تصدى علماء النفس لتفسير الظواهر العجيبة مثل الاستحواذ وتعدد الشخصيات وسيطرة لغات غير معروفة على بعض الأفراد، لكن تظل الكثير من الحالات متجاوزة لقدرتهم على التفسير.

وظاهرة الكتابة الآلية، والوسطاء الذين يقومون بعملهم وهم في حالة التأمل اليوجي، يراها البعض أشكالاً نمطية لاستحواذ الأرواح. وفي الحالتين تكون السيطرة للوسيط، على الأقل بقبوله أن يتم الاستحواذ عليه، ليعمل كقناة موصلة لروح الإنسان الراحل. لكن اصطلاح (الاستحواذ)، عادة ما يستخدم للتعبير عن شيء أكثر شرًا: اغتصاب كلي لا يمكن التحكم فيه لإحدى الشخصيات، بواسطة كيان مسيطر يقوم بغزوها. وبديهي أن حديثنا عن كيان يغزو، يعني أننا قد قبلنا التفسير الروحي للحقائق؛ بينما ينظر العديد من علماء النفس إلى الاستحواذ باعتباره في جوهره انفصامًا حادًا في الشخصية، وأن القوى التي تستولي على الشخصية الضحية تتولد من لا شعور الشخص نفسه.. وتبقى بعد ذلك بعض الوقائع التي يصعب على علماء النفس أن يجدوا لها تفسيرًا أو تكييفًا.

روح «مارفن» المنتقمة:

في مايو عام ١٩٢٢، جرى اتصال بالقس والعالم النفسي الأمريكي والتر فرانلكين برنس، من جانب السيدة لاتيمر، والتي وصفها القس بعد ذلك بأنها على درجة عالية من التحضر. كانت هذه السيدة مقتنعة بأنها ـ وعلى مدى عامين ـ كانت مستحوذة وواقعة تحت طائلة التعذيب على يد روح ابن عمها «مارفن».



بعض الوسطاء يكتبون آليًا بأقلام الراحلين قصصًا، وأشعارًا، أما الوسيطة آلاريك واتس فقد استلهمت هذا الرسم آليًا عام ١٨٧٠م.

بدأ الأمر بعد وفاة مارفن ببضعة أيام، عندما سمعت صوته بوضوح وهو يقول لها «لقد جعلتنى أعانى.. وسأجعلك تعانين..» وظل يكرر هذه العبارة طوال عدة شهور تالية. لم تفهم السيدة لاتيمر كيف جعلت «مارفن» يعانى، إلى أن ذكّرها بخطاب كانت قد كتبته قبل وفاته بوقت قصير تبدى فيه بعض الملاحظات التى تنتقص من قدره.. لقد حدث هذا حقيقة، لكنها كانت واثقة أن مارفن لم يكن من الممكن أن يطلع على ذلك الخطاب.. كما أنها تلقت منه انتقادًا آخر، مفاده أنها لم ترسل زهورًا توضع إلى جانب كفنه!. وعندما راجعت لاتيمر نفسها، وجدت أنها قد أرسلت بالفعل زهورًا لذلك الغرض، وعرفت بالاستقصاء أن زهورها وضعت فى مكان غير ملاصق للكفن.

على مدى سنتين، قبل أن تستشير برنس، لم تكن تمضى ليلة واحدة، دون أن تنهض من نومها صارخة صرخات عالية، وقد فقدت تحكمها فى نفسها. وقد امتد التعذيب من ليلها إلى نهارها. فغالبًا ما كان «مارفن» يتنبأ ـ صادقًا ـ كيف ستتأذى بأفعال الآخرين ومواقفهم منها.. لقد هدد بأن يستمر العذاب إلى أن تقدم له اعتذارًا عقليًا صادقًا الأمر الذى شعرت أنها غير قادرة عليه.

ننتيجة لفشل الكثيرين من المعالجين النفسيين فى التصدى لمثل هذه الحالات، قرر العالم النفسى «برنس» أن يقوم بتجربة يتصرف خلالها وكأنه مصدق لافتراض أن السيدة لاتيمر كانت ضحية حالة استحواذ تقوم بها روح مارفن، وأن يجرى العلاج بمحاولة إصلاح الروح الغاضبة!

بدأ برنس جلسته بقوله في وقار كامل مخاطبًا روح «مارفن»: أتمنى أن أتحدث معك حديث جنتلمان لآخر».. ثم تواصلت تلك المحاضرة لربع ساعة.. أراد أن يكون منطقيًا معه، وحثه على أن يغير سلوكه بقوله «أنا لن أنكر أنك ربما تكون قد خضعت لاستفزاز.. لكن تأكد أن إصرارك على موقفك الحالى، سيعوق تطورك وتقدمك فى حياتك الجديدة.. موقفك السلبى من هذه السيدة نتج عنه ما يطلق عليه الاستحواذ. فى الحقيقة أنت نفسك قد أصبحت مستحوذًا بهذه العادة..».

وحاول «برنس» إقناع «مارفن» أنه من المحتمل أن يكون قد بالغ فى استيائه من نقد بنت عمه فى ساعات حياته الأخيرة، وأن يكون قد أعطى ذلك أهمية أكثر بكثير جدًا مما يستحقه، وأن عليه الآن أن يراجع الأمر برمته بذكاءٍ، ويصفح عنها.. إلى أن قال له «سيأتى الوقت الذى سيلحق بحياتك فيه تحول كبير، وستكون شاكرًا لما أطرحه عليك من اقتراحات..».

الغريب فى الأ مر أن الاستراتيجية غير التقليدية التى انتهجها «برنس» أتت ثمارها سريعًا.

فى الليلة الأولى التى أعقبت جلسة برنس مع مارفن، لم يعكر صفو نوم السيدة «لاتيمر» سوى ظهور والدتها الراحلة، وقولها «لقد سمعنا ما قاله الرجل (تقصد برنس).. سأتولى أنا أمر مارفن.. عودى إلى نومك..» وفى ليلتين متعاقبتين، ظهر لها مارفن أثناء نومها، وعن هذا قالت «فقط وقف صامتًا ومعتذرًا..» عندما عادت إلى «برنس» فى استشارة تالية، وأخبرته بما حدث، عقد جلسة تالية مع روح «مارفن» وهنأه على تصرفه.

هل عالج «برنس» مريضته بالانضمام إلى وهمها، وطرح عليها اقتراحاته التى ساعدتها على أن تحرر نفسها؟.. أم أنه قد قام فعلا بتخليصها من الروح التى استحوذت عليها؟.. حتى هو لم يصل إلى إجابة أكيدة بالنسبة لهذه التساؤلات.

عودة «مارى» فى جسد «لورانسى»:

من الصعب أن نعثر على نظريات نفسية تشرح لنا حقائق حالة الاستحواذ الكلاسيكية، حالة واتسيكا ووندر.. إنها واقعة قديمة، لكنها خضعت لدراسة دقيقة وعميقة ومحايدة من الباحث الروحى ريتشارد هودجسن، والذى كان حذرًا من موضوع الظواهر الخارقة، شأن أى عالم نفس معاصر.

ماتت «مارى روف» فى عمر ١٨ سنة، قبل ١٢ سنة من تتابع الوقائع التى طرحت دليلاً على ظهورها الثانى، فى مدينتها واتسيكا، بمقاطعة إلينويس.. كانت عائلة (روف) الجار اللصيق لعائلة (فينامز)، وعلى مدى أربعة أشهر من سنة ١٨٧٨ كان من الواضح أن لورانسى فينامز، البالغة من العمر ١٤ سنة، تستحوذ عليها روح مارى الجارة التى توفيت عندما كان عمر لورانسى ١٥ شهرًا!

عندما بدأ الاستحواذ، كانت لورانسى تشعر بالتعاسة وسط عائلتها، واقترح عليها والداها أن تقيم وسط عائلة روف.. دخلت لورانسى على عائلة الجيران، وراحت تحيى كل فرد من أفراد العائلة بألقاب التدليل الخاصة التى يستخدمونها فيما بينهم،

والتى قد توقفوا عن استخدام بعضها فى ذلك الوقت، ولكنها كانت شائعة قبل وفاة مارى.. عندما سألوها لحظة وصولها إلى البيت عن المدة التى ستقضيها بينهم، قالت بدون تردد «ستدعنى الملائكة أبقى بينكم حتى شهر مايو تقريبًا..».

خلال الشهور التى أقامت فيها لورانسى عند عائلة روف، حدثت مئات الأشياء التى دفعت العائلة المضيفة تتيقن أن ابنتهم الراحلة قد عادت، وهى تستعير جسم لورانسى فينامز.. فالطفلة لديها ذكرى كاملة لما حدث للراحلة مارى قبل وفاتها.. إنها تتذكر حتى الأشياء الصغيرة، والوقائع العابرة، والرحلات، واحتفالات العائلة وعاداتها، بأكثر التفاصيل دقة!

وفى مناسبة أخرى، عندما كانت الطفلة خارج البيت، طلب السيد «روف» من زوجته أن تأتى بغطاء رأس معين مخملى، كانت مارى معتادة على استخدامه فى السنة الأخيرة من عمرها، وتضعه في موقع بارز من الحجرة. فعلت السيدة «روف» ما طلبه منها زوجها، وعندما عادت الطفلة إلى البيت، لاحظت ذلك على التو، وقالت: «ياه.. ها هو غطاء رأسى الذى كنت أستعمله عندما كان شعرى قصيرًا..»، ثم سألت الأم عمًا إذا كانت ما زالت تحتفظ بالصندوق الذى يحتوى على بعض الخطابات؟. وعندما أتت السيدة روف بالصندوق وجدت الطفلة بين أوراقه قطعة قماش، فقالت بفرحة كبيرة «آه يا أمى.. الياقة التى طرزتها..» وبعد صمت قصير تساءلت «أمى.. لماذا لم تدعينى أرى خطاباتى وباقى أشيائى الخاصة من قبل؟..».

عندما عادت لورانسى بعد ذلك إلى عائلتها، استعادت تمامًا ذاكرتها وشخصيتها الخاصة، واستقرت سعيدة وسط أسرتها الحقيقية.. بينما ودعت الراحلة مارى أسرتها!

الأستاذ ريتشارد هودجسن، الخبير النفسى الأمريكى، الذى كان قد زار منزل عائلة روف أكثر من مرة أثناء إقامة لورانسى، كتب يقول إن هناك تفسيرين ممكنين؛ إما أن لورانسى لديها شخصية ثانية، تتمتع بمواهب عقلية خاصة، مثل التخاطر، والجلاء البصرى، والتعرف الارتجاعى، أو أنها فعلاً كانت مستحوذة بروح مارى على مدى أربعة أشهر.

سالى.. الشخصية الثالثة:

على مدى القرن السابق تم رصد أكثر من ١٥٠ حالة انقسام شخصية، بالنسبة لأحد الأفراد.. مما أثار خلافات لا تنتهى بين العلماء النفسيين والعلماء الروحيين. ولعل خير من طرح وجهة نظر علماء النفس الأستاذ «تيودور فلورنوى» الذى عمل كأستاذ لعلم النفس فى جامعة جنيف. وفى كتابه الذى يحمل اسم (الروحانية، وعلم النفس)، كتب يقول «كما تنقسم البللورة تحت ضربة المطرقة عند شق معين بها.. بنفس الطريقة تنقسم الشخصية البشرية، نتيجة الصدمة التى تُحدثها المشاعر التى تتجاوز القدرة على الاحتمال، يحدث الانقسام عند خطوط آخر وقائع المقاومة، أو الخطوط البنيوية الكبرى لطبيعة ذلك الشخص.. الشق الذى يحدث بين الذوات المتضادة فى الشخصية الواحدة، والتى يحقق توازنها

المتناغم المواصفات الطبيعية: بين الجدية والاستهتار، والتوجهات المتفائلة والأخرى المتشائمة، الغيرية والأنانية، مشاعر العفة والشهوانية.. إلى آخر ذلك..».

ربما أمكن أن نفهم الطبيعة المعقدة لتعدد الذوات داخل إنسان واحد.. أى وجود أكثر من إنسان داخل كيان واحد، يتضاربون ويتناقضون فى توجهاتهم وغاياتهم.. لو استعرضنا بعض الوقائع العملية التى خضعت للحد الأدنى من الدراسة الجادة.

حالة الآنسة «بوشامب» تعتبر من أشهر حالات انقسام الشخصية، وقام بتحقيقها العالم النفسانى دكتور مورتون برنس.. بعد سلسلة من الصدمات العاطفية، أصبح لدى الآنسة بوشامب أربع شخصيات متمايزة، تختلف كل واحدة عن الأخرى من حيث الصحة، والمعرفة، والذكريات!

شخصيتها الثالثة، والتى سنطلق عليها اسم (سالى) زعمت أنها روح، وقد سيطرت على الشخصيات الثلاث الأخرى، وكانت قادرة على تنويم أى منها مغناطيسيًا، وبعض الأحيان كانت تعذب الشخصيات الأخرى بشكل شرير! كانت تضع الضفادع والعناكب فى صندوق؛ لتبعث الخوف فى الشخصية الأولى عندما تفتحه.. إلى آخر هذه المكائد الصغيرة المزعجة للغاية.

عندما حاول دكتور برنس أن يحقق نوعًا من التكامل بين الشخصيات الأربع، اعتمادًا على التنويم المغناطيسى، صعدت «سالى» من مقاومتها واستقلالها عن باقى الشخصيات، زاعمة

أنها الروح من بين تلك الشخصيات الأخرى.. هنا لجأ دكتور «برنس» إلى التقنية التى كان دكتور والتر فرانكلين برنس قد استخدمها فى حالة لاتيمر.. بأن يناقش ويقنع بهدف إخضاع الشخصية المتمردة.

ثلاثة وجوه لحواء:

من أكثر حالات تعدد الشخصيات شيوعًا، حالة حواء، التى سجلها الطبيبان النفسيان س. تيجبن وهـ. كليكلى. والتى تحولت بعد ذلك إلى فيلم سينمائى ناجح. وبطلة هذه الواقعة حواء، أو إيف وايت، امرأة متزوجة، وأم لابن، أرسلت للعلاج النفسى نتيجة لحالات صداع ملحة، وإغماء من وقت لآخر.

جرى وصفها بأنها «امرأة مرتبة لا لون لها» المعالجة النفسية الدقيقة أراحتها من أعراضها، ولكن بعد انقطاعها عنها بقليل أعيدت حواء إلى المعالجين النفسيين.. أعادها زوجها الغاضب، نتيجة لاندفاعها فى نوبة شراء من المحال العامة، ولأنها اشترت ما يملأ خزانة من ملابس الإغراء الجنسى، رغم أنه بدا واضحًا أنها لا تذكر واقعة شراء هذه الأشياء.

خلال جلسة علاج مع الطبيبين.. فجأة غيرت حواء شخصيتها، وأصبح صوتها (نزقًا خفيفًا غير معتاد) وهى تقول «هاى.. أهلاً يا أطباء..» وهكذا ظهرت حواء الدفينة فى مكان حواء المعلنة. كانت حواء الدفينة تزدرى حواء المعلنة، وتعرف كل شىء عنها.. وأنها كانت غالبًا ما تستغل أوقات إغماء الأخرى

لتخرج إلى الوجود وتستمتع بحياتها، فتذهب إلى الحانات، وتغازل الرجال، وتشترى الملابس الجنسية المكلفة.. وأضافت أن حواء المعلنة لا تعرف شيئًا عن شخصيتها الأخرى.

بدا الأمر فى أوله، حالة انفصام شخصية بسيطة، لكن خلال المرحلة الثانية من العلاج.. ظهرت أمام المعالجين حواء ثالثة! هذه الشخصية التى كانت تطلق على نفسها اسم «جين» تظاهرت بأنها لا تعلم بوجود أى من الشخصيتين الأخريين.. كانت جين أكثر يقظة وإدراكًا وذكاء، وكانت شخصيتها أكثر تكاملاً من الشخصيتين الباقيتين. ورغم أن الأولى والثانية لم تشعرا أبدا بوجود جين، كان عليها أن تدرسهما جيدًا.. كانت ترافقهما حيثما ذهبتا، تراقبهما عن قرب، وأبدت تعاطفها معهما فيما تقعان فيه من مشاكل.. وأصبح الوضع غريبًا أمام المعالجين، حواء المعلنة لا تعلم شيئًا عن الشخصيتين الباقيتين.. وحواء الدفينة تعلم كل شىء عن حواء المعلنة، لكنها لا تعلم شيئًا عن حواء الراعية جين.. وجين تعلم كل شىء عن الباقيتين.. واستمر هذا الوضع الغريب حوالى سنة. ثم جاءت النتيجة الطيبة عندما تكاملت الشخصيات الثلاث حول شخصية جين المسيطرة.

لم تكن حالة حواء تشكل تحديًا لقناعة علماء النفس، التى تقول إن الشخصية المتعددة الكيانات هى فى جوهرها ظاهرة نفسية وليست روحانية. باعتبار أن الشخصيتين الجديدتين لحواء اللتين ظهرتا أثناء العلاج، من المقبول اعتبارهما إما جوانب مكبوتة، أو جوانب غير ناضجة، من شخصية حواء الأصلية.



الممثلة تريزا رايت تمثل دور فرجينيا وهى تحت تأثير التنويم المغناطيسى، فى فيلم عن قصة بردلى مورفى، التى حكت عن حياتها السابقة فى أيرلندا، ووصفت مشهد جنازتها الخاصة!



آرنال بلوكسهام، المنوم المغناطيسي الإنجليزي، ينوّم زوجته؛ لتكشف عن حياتها في زمان سابق.

فـى عـام ١٩٥٦ ظـهـر كـتـاب بـعـنـوان «الـبـحث عـن بـرايدى مورفى» وحقق رقمًا قياسيًا فى مبيعاته. كان الكتاب تأليف منوم مغناطيسى من الهواة يدعى «مورى برانشتاين» من كولورادو كـان بـرانشتـاين قد قرأ عن المـنومـين المـغـنـاطيسيين الذين يعتمدون على تقنية (التراجع بالعمر) من أجل الوصول إلى وقائع التناسخ السابقة.

التنويم المغناطيسى.. والتناسخ:

ذات مساء، عـام ١٩٥٢ قـام المـنـوم المـغـنـاطيسى الـهـاوى برانشتاين بتجربة على صديقته فرجينيا، فى محاولة لإرجاع عقارب الزمن إلى الخلف، سعيًا وراء وقائع تناسخ سابقة. وعندما أصبحت فى حالة نوم عميق، تحولت فجأة إلى شخصية مختلفة تمامًا.

بدأت تتكلم بلهجة أيرلندية متميزة، وزعمت أنها برايدى مورفى، التى كانت تعيش فى (كورك) بأيرلندا، ما بين ١٧٩٨ و١٨٦٤، وعلى مدى ست جلسات منفصلة، استطاع برنشتاين أن يستخلص من برايدى قدرًا كبيرًا من المعلومات تضمنت وصفًا للمشاهد والعادات الأيرلندية، والعديد من التعبيرات المحلية العامية.. رغم أن فرجينيا لم تزر أيرلندا أبدًا، ومن طبيعة المعلومات التى طرحتها، كان من المستبعد أن تكون قد حصلت عليها بالطرق العادية.

وقد توصل العديد من المنومين المغناطيسيين إلى نتائج شبيهة بما وصل إليه برانشتاين، التى تبدو للوهلة الأولى أنها نتيجة لحالات تناسخ، رغم اعتراض علماء النفس على الاستنتاجات المطروحة.

فى عام ١٩٧١ أنجز الأستاذ آلان جولد، أستاذ علم النفس فى جامعة نوتنجهام بإنجلترا، مشروعه الذى يختبر فيه منهجه الذى يقترح تطبيقه لمراجعة نتائج تجارب محاولة الرجوع بالسنين إلى الوراء، ومن ثم معرفة النتائج المتوقعة.

لقد تعامل الأستاذ «جولد» مع المعلومات التى تجمعت لديه، فى اعتماده على الوسطاء الذين وصلوا إلى معلومات عن طريق الكتابة الآلية، والذين لم يسعوا إلى الاتصال بأرواح معينة أو موجودة فى الجلسة، بل بكل ما يصادفهم فى جلساتهم.. لقد تبين أن تلك المعلومات تشير إلى أحداث حقيقية، وأشخاص حقيقيين. وبعد اختبارات دقيقة، وجد الأستاذ جولد أنه بين كل ٣٧ حالة من حالات التنصُّت العشوائى للأرواح، عشر فقط جاءت معلومات الروح صحيحة عن شخصيتها وحياتها السابقة.. وأنه فى بعض الأحيان كان الوسطاء يصلون إلى الأسماء بالكامل، والعناوين، والوظائف السابقة.

أما التحدث بلغة غير معروفة والتى يطلق عليها اسم (زينوجلاسى) فيميل علماء النفس إلى أن يرجعوها إلى (الذاكرة غير الشعورية) وهذا تفسير مقبول لبعض الحالات، عندما يتكلم الشخص ببعض العبارات، أو الأبيات من لغة غير معروفة أو مهجورة. لكن هذا التفسير لا يمكن تطبيقه بسهولة، عندما يتم

استخدام اللغة بشكل نشط ومتفاعل بالأخذ والرد.. فلا يمكن لشخص أن يمتلك القدرة على الحديث بلغة أجنبية لمجرد اعتماده على الذاكرة الفوتوغرافية لبعض صفحات كتاب.

روزمارى.. أو نونا الفرعونية!

حكاية روزمارى تعتبر حالة كلاسيكية من حالات (الزينوجلاسى).

فى عام ١٩٢٨ وجدت شابة إنجليزية تكتب لا إراديا وبشكل آلي ببعض الكتابات الغريبة.. انزعجت الفتاة من هذه الحالة الغريبة، ولجأت إلى طبيب عرفت عنه اهتمامه الخاص بدراسات القدرات الخاصة للعقل البشرى. وقد طمأنها دكتور وود، واستراحت إلى أفكاره، فأصبحت شريكته فى اهتماماته وأبحاثه وقبلت أن تعمل كوسيطة فى جلساته معها.

فى إحدى الجلسات، ظهرت روح متصلة وقدمت نفسها باسم (نونا) امرأة مصرية، عاشت منذ حوالى ٣٣٠٠ سنة، استمرت الجلسات التى استحضرت فيها روزمارى روح نونا الفرعونية على مدى عدة سنوات.. وفى تلك الجلسات استجابت روزمارى للغة غريبة عنها للغاية، وأجابت على أسئلة طرحها عليها الأستاذ وود بالإنجليزية.

عمد وود إلى تسجيل ما نطقت به نونا بالحروف اللاتينية، وعندما تجمعت لديه مادة كبيرة، عرضها على أستاذ مصريات قديمة. ذلك الخبير لم ينجح فقط فى ترجمة المادة التى قدمت إليه، لكنه أصر على كونها إجابات عاقلة منطقية على الأسئلة التى طرحها الأستاذ وود.



الوسيطة الإنجليزية روزمارى، التى تعتبر حالة كلاسيكية من حالات (الزينوجلاسى)، أو معرفة اللغات المهجورة أو غير المعروفة، والتى كانت قادرة على الكتابة باللغة الهيروغليفية.

أغرب ما جاء في ترجمة عالم المصريات، هو أن بعض المعلومات المستخلصة من ذلك الحوار، تفيد أن (فولا) وهي صديقة معاصرة للمصرية القديمة (نونا) قالت إنها من بين الأرواح المستنسخة التي عاشت بها روزماري في مرحلة سابقة!

وماذا بعد؟.. الكثير والمزيد من القدرات الخاصة للعقل البشري ورغم تراكم الدراسات والتجارب والأبحاث ما زلنا نلقي الضوء على مساحة صغيرة للغاية من الظلمة المعرفية السائدة. و كما قلنا من قبل، المهمة ليست سهلة؛ لأن الغرور العلمي الذي صاحب النهضة الصناعية قاد إلى إهمال تلك الظواهر، وتركها بين أيدي المشعوذين والدجالين.. وحتى الآن لم يعترف علماء عصر الصناعة بأحادية نظرتهم، وبالاختزال المخل للكيان البشري الكلي وبأن اتساع دائرة المعارف يعني في نفس الوقت اتساع محيط الجهل.

نحن لا نحضُّ على قبول خرافة لمجرد غرابتها، لكننا في نفس الوقت نرفض الحكم المسبق على الأشياء قبل اختبارها بشكل موضوعي.. ونؤمن بأنه من غير العلمي أن نقول على شيء ما ـ أي شيء ـ إنه مستحيل.. لكن الموقف العلمي السليم يحضنا على أن نقول إن «هذا الشيء في حدود معلوماتنا ومعارفنا الحالية يبدو مستحيلاً».

المحتوى

أحدث إصدارات

الأستاذ

راجي عنايت

- الابتكار والمستقبل .
- أفيقوا يرحمكم الله .
- حكايتى مع المستقبل .. أزمة مستقبل مصر .
- أمريكا .. إلى أين؟!
- الأشرار داخل النظام .
- سلسلة (عجائب) :
  - أعجب البشـــر .
  - أعجب الأماكن .
  - أعجب قدرات العقل البشرى .
  - أعجب الظواهر الغامضة .
  - أعجب العقائد الخاصة .
  - أعجب الكائنات .
- سلسلة (عالم جديد لجيل المستقبل) :
  - بيت المستقبل .
  - الانتقال فى المستقبل .



سلسلة عجائب (٣)

أعجب قدرات العقل البشرى

على الرغم من كثرة وغزارة المعلومات والمعارف التى استطاع العلم أن يصل إليها، حول قدرات وعمل العقل البشرى- فإننا ما زلنا فى بداية الطريق!.. وهذا الكتاب يفتح أمامنا آفاقًا جديدة لهذه القدرات، وكيف تعامل معها العلماء. واقرأ فيه:

- شبح غريب فى غرفة قيادة السفينة، ينقذ من كانوا على السفينة المرتطمة بجبل الثلج.
- التخاطر.. أو اتصال العقول البشرية دون أية واسطة معروفة.
- كيف استطاع العلماء اكتشاف حقيقة العرض الذى يقدمه الفقير الهندى؟..
- خروج مركز الإدراك المتحرّك من الجسد، وجولاته الطويلة فى المكان والزمان!.
- برامود شارما، فى الثالثة من عمره.. متزوج وله أربعة أولاد وبن...
- تعدد الشخصيات داخل الفرد الواحد، هل هى ظاهرة نفسية، أم رو...
- روزمارى الإنجليزية.. عاشت فى مصر منذ ٣٣٠٠ سنة باسم نو... الهيروغليفية!





6 221133 323895



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع